



روایات عناده



روزالین شتایغر

الشتاء الطویل



www.elromancia.com

مروية

سموت - لبنان

غادة

اشتاء الطويل

روزالين شتايفر

رحلة لجمع الشمل نقلتها الى الجنة الى عالم
المتناقضات. شقيقها التوأم والذي لم تعرف عنه شيئاً
منذ لحظة ولادتهما كان بانتظارها وسط عائلته المتبناة
بكل أفرادها وعلى رأسهم الأخ الأكبر المتكبر صاحب
القرار الاول والأخير لكل شاردة وواردة بحياة عائلته.
المعارضة والصراع كان جلياً بين ما تحمله ثقافتها
وتربيتها الفرنسية من طباع وعادات وبين عالمه
اليوناني الغارق بالأساطير وبالتقاليد الصارمة. حب
وكره. لهفة وتهرب، غموض وسحر. عالم غريب
وجدت هارمونيكاً نفسها به متأرجحة بين قمة السعادة
وهوة الشك هل ستعرف الطريق الى الشمس أم انها
ستعود الى بلادها والتناقض والمستحيل بحقيبتها؟
وهل ستمكن يوماً من نسيان عيونهِ السوداء البراقة
التي تحمل كل معاني الحياة؟.

نظرت هارمونيكا إلى النقطة السوداء البعيدة
الظاهرة بوسط المحيط وخفق قلبها بقوة. لقد
طمأنوها حول وجود مدرج للطائرة على متن تلك
الجزيرة الصغيرة تنهدت بعمق وقررت ترك مسألة
القلق على السوط على عاتق القبطان نفسه وسرحت
بنظرها على الجمال الطبيعي الساحر الممتد تحتها
والجزر منتشرة هنا وهناك كحبات الزمرد الداكنة وسط
مخمل أزرق داكن يميز الجزر اليونانية الشهيرة بكل
العالم. السماء كانت صافية والشمس ساطعة وذكرها

ذلك بسماء موطنها في فرنسا.

أحست بلهفة مفاجئة إلى حياتها الروتينية السابق وتمنت بعمق لو أنها لم تقم بهذه الرحلة - لربما كان من الأفضل والأكثر حكمة ترك الأمور على ما كانت عليه عوضاً عن كشف الأسرار التي ظلت مختفية ومحروسة تماماً لفترة طويلة من الزمن.

لا تزال تذكر فرحتها الصاعقة حيث اكتشفت فجأة ودون سابق إنذار أن لديها شقيق توأم فانطلقت وكلها أمل بلقائه، لكن كلما اقتربت أكثر من هذه الجزيرة الصغيرة المسماة «ساردا» كلما أدركت عمق الخلوة نحو المجهول التي قامت بها.

لم تعرف الكثير عن أنطونيو فيلوسستو شقيقها سوى أنه ينتمي إلى عائلة ثرية أكثر ثراءً من عائلتها المتوسطة دون شك. ومع إن وصية العمة فرانسكا قد جعلتها وريثة غنية بشكل مفاجيء إلا أن ثراءها هذا يعتبر نقطة في بحر أزاء ثروة آل «فيلوسستو».

تمنت لو يكون شقيقها التوأم يشبهها فهذا سيعطيها بعض الدعم النفسي. إنكأت برأسها على نافذة الطائرة الصغيرة وسرحت متذكرة الأحداث الغريبة التي أوصلتها إلى هذه المرحلة الآن.

لقد وعت على وجود العمة فرانسكا كقريبيتها المشهورة جداً والتي كانت دائماً ترسل لها الرسائل

وتحضر لزيارتها كلما سمحت لها ظروف عملها كممثلة مشهورة أن تفعل. كانت هارمونيكا تتباهى أمام أصدقائها وأقاربها بالعمة فرانسكا وبالهدايا الرائعة التي كانت تحملها لها كلما أتت للزيارة.

وحزنت فتاة العشرين ربيعاً كثيراً حين توفت العمة فجأة وهي بأوج عطائها ويعنفوان شبابها بحادث تحطم سير مروّع أودى الممثلة الجميلة جثة هامة دون روح.

لم تتفاجيء هارمونيكا كثيراً حين عرفت من محامي عمته أنها الوريثة الوحيدة لكل مجوهرات، أموال ومنازل العمة الثرية لكن ذهولها التام والصاعق كان حين فتحت رسالة خاصة تركتها العمة لها مع المحامي وأوصت بتسليمها لها فور معرفتها بنص الوصية.

كانت الرسالة تحمل أغرب الأخبار الممكنة وقرأتها هارمونيكا مرات ومرات قبل أن تفهم تماماً محتوياتها.

الرسالة تقول ان العمة فرانسكا ما هي الا الوالدة الحقيقية لهارمونيكا ولتوأم آخر يدعى هارولد والقصة كانت ان الوالدة تعرفت على الوالد ببداية حياتها الفنية وأنجبت التوأم، الوالد رحل وكان الطفلان يشكلان عائقاً أساسياً ووحيداً أمام انطلاق الموهبة

الشابة بعالم التمثيل . وهكذا ولأسباب عديدة لم تجد الشابة أمامها حلاً سوى بتسليم الطفلين للتبني .

إحدى أقارب فرانسكا تبنت هارمونيكا فقط لوجود الأطفال الذكور لديهم وكان من الضروري تفريق الطفل عن الطفلة .

تبنت أسرة يونانية الطفل ومن الواضح أن اتصال فرانسكا به قد انقطع كلياً . ونجحت فرانسكا بتمثيل أصعب دور في حياتها الا وهو تمثيل دور العمة مع ابنتها ولمدة عشرين سنة كاملة .

وهكذا فقد خُتمت هذه الرسالة الغريبة بتوسل فرانسكا لهارمونيكا بصرف مبلغ من الثروة على التفطيش على الطفل الضائع والذي أصبح شاباً بربيع العمر الآن .

وهذا ما فعلته هارمونيكا فعلاً ولمدة سنة كاملة الى أن أنبأها محاميها يوماً أن تم العثور على الضالة المنشودة في جزيرة «ساردا» وها هي الآن بطريقها للمقابلة الاسطورية .

هبطت الطائرة أخيراً على المطار وفور رؤية القبطان للسيارة الفاخرة التي كانت بانتظارهم ودّع هارمونيكا بتحية وغادر تاركاً اياها والتلف والذهول المنتظر يأخذان منها كل مأخذ .

أخيراً وبلحظة مهولة اقترب الشاب منها ووجدت

نفسها تحديق بعيون زرقاء داكنة مماثلة تماماً لعينيها برموش بنية كثيفة وأنف دقيق وفم ممتلئ . الفارق الوحيد بين ما تراه أمامها وبينها كان لون الشعر فلون شعرها كان أشقرأ بينما شعر من تراه أمامها كان بنياً وبالإضافة الى اختلاف لون البشرة . بشرتها كانت بيضاء متوردة بينما كانت بشرة شقيقها سمراء داكنة وملوحة بسبب شمس اليونان المشرقة . لحظات طويلة مَرَّت والعينان الزرقاوان تتبادلان النظرات عيونهم كانت باردة ومتفحصة وتسارعت نبضات قلبها بشدة مخافة ردة فعله . لكن الجمود تبخر وعاد الدفء ليغمر عيونه الجميلة وتفتقت شفاهه عن ابتسامة عارمة .

«هارمونيكا» صاح بلكنة أجنبية وكأنه ينتزع اسمها من أعماق، أعماق الماضي وفتح ذراعيه لها وأخذها بأحضانه بعناق حار متعمق وسمعته يقول بلكنته اليونانية :

«انت بالفعل شقيقتي - هارمونيكا» .

الدموع التي انسالت على وجنتيها منعته من النطق لكنها أدركت أنه كان يُشكك بها، يشكك بهويتها . لم يخطر ببالها أن تكون هذه هي الحالة . لكن أليس هو الآن فرداً من عائلة بالغة الثراء أليس هارولد الآن «أنطونيو فيلوستو» سليل العائلة الثرية والمعروفة

جداً؟ يحق له اذن التشكك بحقيقة أن تكون هي شقيقته الحقيقية والتي لم يراها منذ ١٧ عاماً.

أبعدها قليلاً عنه وتمعن بوجهها للحظات باستمتاع ثم قبلها على وجنتيها قائلاً: «انت جميلة جداً يا شقيقي».

ابتسمت قليلاً مكفكة الدموع التي انسابت على وجهها وقالت: «أنا - أنا لا أعرف بماذا أناديك، كنت أفكر بك على انك هارولد، لكن...».

«اسمي انطوني ويدعونني طوني - كان هذا اسمي لسنوات وسنوات لدرجة انني نسيت انني كنت أكنّى بإسم آخر، حتى بالنسبة لك هارمونيك».

«أجل، بالتأكيد» قالت ونظرت اليه مجدداً عبر ظلال رموشها: «أشعر - أشعر بالإنارة ولا أعرف ماذا أقول! لم أفكر قط انني سأراك طوني؛ لا أصدق تماماً انني هنا حتى! من الجيد من والدتك السماح لي بالحضور وبالإقامة لبعض الوقت وأمل أن تدرك هي مدى تقديري لهذا الأمر».

تقطعية صغيرة علت جبين شقيقها الجميل للحظات قبل أن يرفع أكتافه بحركة عفوية ويقول: «لا تدينين بالشكر لوالدتي بهذا الشأن هارمونيك ماركو هو المسؤول عن دعوتك الى هنا، وعليك شكره هو لا غيره».

«ماركو؟».

«أجل».

«ماركو فيلوستو، أخوك الغير شقيق؟» قالت هارمونيك لمعرفة أن السيدة فيلوستو كانت أرملة مع طفل قبل أن تتزوج مجدداً ممن تبنى أنطوني.

«أخي» صحح لها أنطوني برقة ولكن بصرامة: «انه رجل متفهم تماماً».

«وأنا ممتنة تماماً له للسماح لي بالمجيء ورؤيتك» ردت هارمونيك بسعادة حقيقية.

ابتسم أنطوني لها بحب ولاحظت مدى جاذبية وجمال شقيقها التوأم هذا وأحست بحب غريب جارف نحو من تجري بعروقه نفس دماء عروقتها.

«إذا لم أعيدك بسرعة الى القيللا» قال وهو يحمل حقيبتها ويتجه نحو سيارته: «فسيعتقدون انك لم تصلي. عندنا الكثير لتحدث عنه هارمونيك أليس كذلك؟».

«أخبار ١٧ سنة» وافقته بضحك: «لن نتوقف أبداً عن الكلام».

انطلقت السيارة وسط جمال طبيعي خلّاب لم يسبق لعيون هارمونيك أن شاهدت سحراً مثله من تناغم ألوان البحر الى زرق السماء الى تنوع ألوان الأزهار وأشكال النباتات.

«انه فعلاً مكان رائع» عبّرت بإعجاب. وحين لاحظت عدم تعليقه كأنه يعتبر كل ما حوله مجرد شيء عادي تابعت: «ستكون متحمساً أكثر من هذا حول ما تراه لو كنت قد قضيت حياتك في بلدة صغيرة بجنوب فرنسا».

«ألم تغادري فرنسا أبداً؟».

«آه بلى، لقد فعلت وأكثر من مرّة. زرت إيطاليا واليونان وإسبانيا أيضاً. لكن لم يسبق لي زيارة جزيرة كهذه. انها - انها الجنة انطوني».

«سيسر ماركو بسماع ما تقولين. أحياناً يثور غضبه لأنني لا أشاركه هذا الشعور - شعور التقدير لحسن حظي».

«أنت بالطبع محظوظ للعيش بهكذا مكان على الدوام».

«هذا ما يتابع ماركو قوله لي باستمرار» قال بابتسامة غامضة أثارت شيء ما داخل هارمونيكا. شيء يتعلق بصلة الوصل بين التوائم.

«لكنه قضى وقت طويل خارج الجزيرة» تابع انطوني: «وبالنسبة له كان من الرائع العودة الى المنزل أخيراً للاستقرار الدائم مع أن السبب كان موت بيادرو».

«والدك بالتبني؟».

«والدي».

مجدداً صحح لها انطوني برفق وصرامة تعبيرها وأقنعها انه يعتبر آل فيلوستو كأهله وعائلته الحقيقية رغم حقيقة ما أظهرته الأيام. لم تلومه هارمونيكا لذلك فهي نفسها تعتبر نفسها حتى الآن جزء لا يتجزأ من عائلة «برنستا» التي عاشت معها طوال حياتها.

وصلا أخيراً الى فيللا بيضاء ضخمة تشبه فيلات العصور الوسطى بديكوراتها وزركشاتها الناصعة الساحرة وبحديقاتها الغناء المليئة بالتمائيل وبالنوافير الجذابة.

لم يسمح لها انطوني التمتع برؤية هذا الجمال الخاص بل وضع حقائبها أرضاً، ليحملها الخادم لاحقاً الى الداخل ثم سار أمامها الى مدخل المنزل. ابتسم لها مشجعاً قبل أن يدير أكرة الباب وقال: «أولاً سأقدمك لهم، بعدها قد ترغبين بالاستحمام وأخذ قسط من الراحة بعد رحلتك أليس كذلك؟».

طأطأت هارمونيكا رأسها بموافقة دون أن تنطق. قلبها كان ينتفض بقوة داخل صدرها وهو يفتح الباب ويدخل بها الى غرفة كبيرة باردة وجميلة الرياش. الأثاث كان قديماً وفاخراً وبلون الزمرد الرائع. تناهى الى سمعها صوت ضحكات تأتي كما يبدو من الحديقة الجانبية خارج الغرفة، لكن داخل الغرفة كان

هناك امرأة ورجل كان ينهض من مكانه ببطء مراقباً دخولهما بعيون سوداء داكنة ومخترقه لم يسبق لهارمونيكا أن رأت عيوناً مثلها.

المرأة ظلت جالسة مكانها وبدت أقل فضولية وأكثر ممانعة كما أظهرت تعابيرها وتسارعت نبضات قلب هارمونيكا لرؤية عدم موافقة المرأة الواضحة على وجودها. كانت المرأة بالخمسينات صلبة المظهر ومرتبة جداً بثوبها الأبيض الأنيق وشعرها المصفف بعناية الى الخلف.

الرجل لم يكن لا سهلاً ولا مشجعاً للنظر اليه وفضلت هارمونيكا إخفاء انفعالاتها بالتخفي خلف رموشها. بطوله الفارع وجسده الرياضي الواضح ونظرتة كانت كأن هالة من العدوانية تحيط به وهو يقف ورجليه متباعدين ويديه خلف ظهره وعيونه تتفحصانها بوضوح وعدم خجل.

كان شعره أسود داكن كلون عيونه الواسعة وبشرته كانت برونزية وقفته وهيئته كانا يوحيان بالتكبر وبالسلطة، مزيج لم تتمكن هارمونيكا من التأقلم معه بحالتها الذهنية بهذه اللحظات.

انحنى انطوني وقبل وجنة المرأة المسنة ثم استدار وابتمس لهارمونيكا قائلاً: «والدتي، هذه هارمونيكا شقيقتي من فرنسا. هارمونيكا هذه هي والدتي السيدة

دياندرافيلوستو».

ابتسمت هارمونيكا للوجه العابس وصافحت اليدين المعروقتين متممة كلمات الترحيب المؤدية لكنها شعرت بالخيبة لفقدان الترحيب الواضح داخل العيون الرمادية الغائرة التي كانت تنظر اليها بتقلص وتشكك.

«تلروبولي، تسبنيس» قالت المرأة ببطأاة صغيرة من رأسها. أدهش هارمونيكا أن تحييها المرأة باللغة اليونانية التي لا تفقه الفتاة منها شيئاً. وانها لا شك أن السيدة تعرف الفرنسية لقضائها وزوجها السابق بضعة سنوات في فرنسا.

«وشقيقي ماركو» قطع صوت انطوني حبل أفكارها فنظرت الى الشاب الداكن الذي كان ترحيبه أكثر حرارة قليلاً من ترحيب والدته.

لكن كان من الواضح انه رجل يفضل ان يصدر أحكامه على الآخرين قبل أن يقرر اتخاذ موقف الصداقة أم العكس.

أمسك بيدها الصغيرة وشد عليها بأصابعه الطويلة الصلبة وظلت عيونه الجريئة تتفحصانها من رأسها حتى أخمص قدميها.

لغته الفرنسية كانت ممتازة وهو يقول: «أهلاً بك في «ساردا» آنسة «برنستا»، أمل أن رحلتك الى هنا

كانت مريحة».

لم يكن هذا سؤالاً وهو لم يكن يتوقع رداً بالطبع لكن صوته كان داعماً لجاذبية من نوع خاص كانت وقفاً على هذا الرجل الغريب والمتعالي. تذكرت هارمونيكا نصيحة «انطوني» لها بإطلاع شقيقه على رأيها بالجزيرة إذا ما أرادت إرضائه.

فابتسمت بأدب وقالت: «الرحلة من أثينا الى هنا كانت رائعة سيد فيلوستو - تبدو جزيرتك من الفضاء رائعة تماماً كما هي حالها على الأرض».

نظرت السريعة نحو انطوني أوحى فهمه لمصدر النصيحة وأحنى رأسه بخفة لكنه لم يبتسم. «هذا ما نعتقد به دورنا آنسة «برنستا»».

وضع انطوني ذراعه حول كتفها وبرقت عيونه الخضراء بتحدي وهو ينظر الى والدته وشقيقه: «نحن نشبه بعضنا تماماً. أليس كذلك؟ نفس العيون، نفس الملامح، نفس القامة - متشابهين تماماً أليس كذلك؟».

عادت النظرة السوداء المخترقة اليها مجدداً لإجراء المقارنة المطلوبة ولم تستطع هارمونيكا إلا أن تغض ببصرها.

«هناك بعض الشبه» وافق ماركو بحذر: «لكن بما انكما تدعيان أنكما توأم فالتشابه هو المتوقع

بالضبط».

رفعت هارمونيكا نظرها اليه بسرعة وقد صدمتها ليس فقط كلماته، بل شيء ما آخر بصوته. انتفض قلبها بسرعة وشعرت بتحذير بارد وهي تحديق بالعيون السوداء للحظة أو لحظتين.

«نحن بالفعل توأم، سيد «فيلوستو»، لا شك بهذا».

«حددت شبهكما المحدد» قال الصوت الهاديء. «لكن لديك بعض الشكوك؟».

وجتثاها كانتا ملتفتان وهي تنظر اليه بتساؤل. لقد توقعت بعض المعارضة من ال «فيلوستو» لكن ما لم تتوقعه مطلقاً أن يأتي ذلك بهذه السرعة من الرجل الذي قال انطوني أنه سبب السماح لها بالمجيء.

عدم رغبتها بتعريض وحدة عائلتهم للتهديد كان شيئاً تستطيع تفهمه لكن أن يسمحوا لها بالمجيء لرؤية انطوني ثم التشكك بصدق هويتها كان شيئاً غير مفهوم وغير منطقي بالنسبة لها.

نظرت الى انطوني غريزياً ثم قالت بصدق: «لا أفهم تماماً سبب شككم بهويتي، رأيتم أمامكم الدليل الواضح اننا توأم متشابه تماماً أليس كذلك؟».

«رأينا دليل أن لأنطوني شقيقة توأم حين وُلد» قال لها ماركو بهدوء: «لكن هذا شيء كنا نعرفه مسبقاً».

بارتباك انتقلت هارمونيكا بنظرها بينهما ثم هزت رأسها. لم يكن انطوني مصدر مساعدة لها فهو كان يعرف بوجود هذه الشكوك كما كان واضحاً من تعابيره لكنها لم تكن تعرف ما هي هذه الشكوك وما هو سبب تواجدها.

«لكنكما - لا تعتقدان - لا تصدقان انني تلك الشقيقة؟»

كانت السيدة فيلوستو على وشك التفوه بشيء ما لكن ابنها الأكبر حرّمها من هذه الفرصة. نظر الى هارمونيكا بثبات وتقلصت عيونه للحظات كأنه يتناقش مع نفسه حول تفوهه بشيء ما أم لا.

«هناك أسباب لتشككنا بهويتك، آنسة برنستا، أسباب عائلية لا نحتاج لشرحها الآن. لربما أنت فعلاً من تدعين انك تكونينه، والآن بعد أن رأيناك، فلن يكون عندنا صعوبة كبيرة بالتوصل الى قرار، على ما أظن، لكننا وجدنا أنه من الأفضل مجيئك أنت الى هنا لعدة أسابيع على أن نرسل انطوني الى فرنسا. أتمنى أن تفهمي هذا وان تستمتعي بإقامتك معنا».

عقل هارمونيكا كان لا يزال مرتبكاً ونظرت الى انطوني طلباً للإرشاد وجهه الجميل كان يظهر الارتباك، عيونه الخضراء كانت تنظر الى الارض لكن الغضب دون شك كان الذي يصلب شفاهه هكذا

وشعرت هارمونيكا بمدى توتره وهو يبعد ببطء ذراعه عن كتفها ويمرر يده بشعره الكث.

قال شيئاً باليونانية يعكس دون شك غضبه المكبوت ونظر الى شقيقه بحب عميق يتواجد بهذه القوة فقط ببلد المنشأ الخاص به. رد ماركو كان مختصراً ورقيقاً بدرجة تثير الدهشة واندشت أيضاً لإدراكها لمدى الحب العميق والخالص الذي يمكنه ماركو لشقيقها. عاد بنظره الى هارمونيكا وتحدث بالفرنسية قائلاً بهدوء وعقلانية: «أليس من اللائق أن ترشد ضيفتنا الى غرفتها؟» اقترح موجهاً الحديث الى انطوني الذي حذق به للحظات ثم طأطأ رأسه.

«أتمنى أن تثق بي» قال ثم استدار موجهاً الحديث الى هارمونيكا: «هل ترغبين برؤية غرفتك، يا شقيقتي؟»

«أحب ذلك» قالت وهي تشعر بتأثير كلمة «شقيقتي» عليها وعلى انطوني.

أمسك بذراعها واستدارا للمغادرة حين ناداهما ماركو قائلاً: «حين تنتهين من الإستحمام آنسة برنستا، سيعرفك انطوني على بقية أفراد عائلتنا - وعلى خطيبته».

نظرت اليه من فوق أكتافها وعيونها تعكس دهشتها لسماعها لكلماته الأخيرة التي لم تكن تعرف شيئاً

عنها وتلاقت عيونهما للحظة طويلة قبل أن تبعد نظرها بسرعة. لم يعلق انطوني بشيء لكن اللون الأحمر عاد الى وجنتيه مجدداً واشتدت يده على ذراعها وهو يسير معها الى الطابق العلوي. يبدو أنه لم تكن من نهاية للمفاجآت التي كانت مخبئة لها على هذه الجزيرة الساحرة.

استحمت بعد أن اطمأن انطوني على حيازة الغرفة على اعجابها وغادرها ثم ارتدت ثوباً زمردياً مرصعاً بالزجاج الملون وسرحت شعرها وتركته منسدلاً على كتفها كشلالات براقه ذهبية. نظرت الى نفسها بالمرآة وارتاحت لما رآته من شباب وجاذبية وجمال، فهي كانت بحاجة لكل شجاعتها وثقتها بنفسها لمقابلة بقية العائلة. أملت أن يكون لقاءها بالباقيين أكثر ودية وحرارة من لقاءها السابق برب العائلة الحالي ووالدته وأصوات الضحكات والأحاديث الودية التي كانت تصلها من الحديقة عززت أملها هذا.

كانت تنزل السلالم نحو قاعة البهو وهي تتذكر المدخل الى الغرفة التي كانت بها قبل ساعة حين سمعت ازيزاً فوق رأسها وشاهدت طائرة صغيرة تحط على الأرض أمامها. استدارت بسرعة وذهول لتشاهد صبيّاً بعمر السابعة تقريباً ويده آلة لتحكم عن بعد وهو يحدق بها. ابتسمت لكنها لم تتلق أي رد من

الفتى الذي ظل يتفحصها بثبات وهو يقترب لالتقاط طائرته.

«مرحباً» قالت بالانكليزية التي تتقنها تماماً وابتسمت.

بدون تردد انحنى الولد وتناول طائرته قبل أن ينطق بكلمة. ثم رفع نظره اليها بتقطعية استفسار وبدون أي إشارة عن الخجل والتردد.

«أنت من فرنسا؟»

«هذا صحيح» ابتسمت هارمونيكاً بتشجيع: «تتكلم الانكليزية بشكل جيد».

«عندي استاذ خاص».

تقبل مدحها ببرود، كان طفلاً واثقاً ومعتداً بنفسه وتمنت لو كان لديها هكذا ثقة غير مهتزة. كانت تشعر بالعجز بوقوفها هكذا مع طفل غريب دون أن تعرف عليها الدخول الى أية غرفة.

«لربما من الأفضل التعريف عن أنفسنا» اقترحت:

«اسمي هو هارمونيكاً برنستا».

نظر الى يدها الممتدة نحوه للحظات بشك ثم عاد فأمسك باليد فجأة بثبات غريب نسبة لطفل بمثل سنه.

«اسمي بوندو».

«بوندو؟» استفسرت.

«أجل، هل أنت من يتوقع انطوني وصولها؟»

«أجل، أنا... ضيفة انطوني».

ترددت بتحديد صلة قرابتها لأنطوني لخوفها من أن لا يتمكن الطفل من فهم سبب القرابة وظروف ابتعادهما.

طأطأ الصبي رأسه كأنه يفهم كل شيء وكان على وشك طرح المزيد من الأسئلة حين فتحت إحدى الغرف وكان القادم انطوني. تنفست هارمونيكاً الصعداء وربت انطوني على كتفيها فور وصوله. عيون الفتى الذكية لاحظت هذه الحركة والتمعن شيء ما داخل عيونه الداكنة.

تفوه انطوني بشيء ما باليونانية لكن الفتى لم يحب ما سمعه لأنه قطب وأعلن بعناد.

«لا أرغب بالعودة الى غرفتي».

استعمل الانكليزية كما يبدو ليحوز على دعم هارمونيكاً له بمطلبه وتابع: «لقد سئمت من البقاء بغرفتي انطوني وأرغب بالبقاء في الحديقة».

«ستنتظر في غرفتك الى أن يُرسل بطلبك».

غضباً عنها نظرت هارمونيكاً الى انطوني بتوسل وقالت: «لكن بالطبع بإمكانك السماح له بالنزول الى الحديقة الآن انطوني! من الصعب عليه البقاء بغرفته بمثل هذا اليوم الرائع».

احمرت وجنتاها بعد تسرعها حين نظر اليها انطوني والطفل بدهشة واضحة.

لربما لم يكن عليها التدخل بالمسائل العائلية الصرفة لكن بالرغم من تصرفه البالغ الحذر. الا انها شعرت بإعجاب وحب نحو الطفل العنيد الصغير بعيونه الداكنة البراقة.

انتقل انطوني ببصره بينهما كأنه لا يعرف ماذا يقول ثم هز رأسه: «بوندو ليس من النوع الذي يترك انطباعاً أولاً جيداً هارموني» وتابع: «من الأفضل له البقاء في غرفته».

«لكن يبدو هذا قاسياً جداً».

ردت دون أن تفكر وأدركت بعد فوات الأوان انها كانت تلمح بانتقاد الى طريقة تربية الطفل ومجدداً نظرت عيون شقيقها والطفل اليها بدهشة واضحة. الطفل بدوره، وجدها سبيل للهروب لكن يبدو أن أنطوني لم يرغب بأن يكون صاحب الأمر الأخير بهذا. فقد قال وهو يهز كتفيه: «أعتقد أن بإمكانه النزول الآن اذا وافق ماركو على ذلك».

رمشت هارمونيكاً بعيونها بمفاجأة. لم تتخيل أن يكون ماركو فيلوستو الصارم والمتسلط زوجاً أو والدًا. لكنه بالغ الجاذبية والرجولة فلا شك أنه بالتالي متزوج.

«بوندو هو ابن شقيقك؟».

وجد انطوني هذه الفكرة مسلية فقد ضحك وهز رأسه الجميل قائلاً: «آه، كلا، هارموني! ليس ماركو هو الوالد ولا هو متزوج من الأصل، لكن ماركو هو من أرسل بوندو الى غرفته».

«فهمت».

«اذن هل بإمكانني النزول الآن؟».

تردد انطوني قليلاً قبل أن يقول: «افترض انه من الممكن لك النزول والبقاء معنا خاصة أن هارمونيكا نفسها طلبت ذلك لكن عليك طلب موافقة والدك وماركو، بوندو».

«حاضر انطوني».

برقت عيون الطفل باكتفاء وشعرت هارمونيكا أنه يحصل عادة على ما يريد وبوسائله الخاصة. بتنهذ تأبط انطوني ذراع شقيقته وسار بها نحو الصالون والصبي يسير خلفهما كأنه يفكر بنوع الاستقبال الذي سيحظى به.

ابتسم انطوني لها وهو يفتح الباب وقال: «الجميع متشوق للقائك هارموني».

«حقاً؟».

ارتجاف صوتها جعله ينظر اليها بتمعن للحظات ثم شد على يدها بحب وقال: «سأكون معك هارموني».

سترين - سيكون كل شيء على ما يرام».

دخلت هارمونيكا الغرفة وقلقها وترقبها لا يزالان على حالهما رغم كلمات شقيقها المطمئنة ولم تعرف ما الذي كان ينتظرها بالداخل. لكن ما رأيته كان نفس المنظر السابق الأم وابنها البكر وهالة الارستقراطية المباردة التي تحيط بهما. نهض ماركو فيلوستو عن كرسيه بنفس الطريقة السابقة وعيونه تأخذان كل مظهرها والرداء الأخضر المنسدل على جسدها بطريقة تظهر بشكل جميل تقاطيع جسدها ويظهر جمال بشرتها وعيونها.

بريق الاعجاب الذي لمع داخل العيون الداكنة للحظة واحدة فقط حرك تجاوباً ما بداخلها وجعلها تشعر أكثر بوجود الرجل اليوناني الصارم هذا «استرحت الآن آنسة برنستا؟».

«أجل شكراً لك سيد فيلوستو».

«هل أعجبتك غرفتك؟».

أشار الى كرسي وجلست هي عليه وهي تبتسم لأنطوني الذي جلس قربها.

«انها غرفة جميلة، شكراً لك. أنا حقاً ممتنة جداً لسماحك لي بالمجيء سيد فيلوستو».

بالكاد حرك رأسه حين انتبه لدخول الصبي الذي كان يسير بظل انطوني وهارمونيكا.

التقت الحواجب الداكنة بتقطعية ونطق شيء ما باليونانية. نظر بوندو اليه بمزيج غريب من التوسل والتحدي لكن كان من الواضح أنه أدرك أن الشخص الواقف أمامه عصي على التأثير. أجاب الصبي بلغته الأم وانتقلت نظرة ماركو سريعاً الى هارمونيكا.

تأكدت هارمونيكا أن الصبي طرح اسمها بالنقاش حين قفز أنطوني من مكانه وقال: «انتظر لحظة ماركو! ليس هارمونيكا من أعطاه الإذن بمغادرة غرفته، كان قد غادرها بمفرده. هارمونيكا فقط - فقط قالت أن علينا السماح له بالنزول والانضمام إلينا».

لقد زاد الأمور سوءاً، فكرت هارمونيكا. دون أن يدرك ذلك، وحدثت عيون ماركو فيلوستو بها بثبات كأنه لا يصدق تدخلها بهكذا أمر.

«الا توافقين على معاقبة من يرتكب خطأ؟» سألها.

لاقت نظراته القاسية بانزعاج وتمنت لو أنها لم تورط نفسها بهذا من الأصل. المشاعر تتفجر بسرعة بأوردة أفراد هذه العائلة وشعرت هي بعدم ثباتها المطلق أمامهم.

«أنا - أنا لم أعرف أنه كان معاقباً».

«ولماذا تعتقدين إذن تم إرساله الى غرفته يا آنسة؟»

هزت كتفيها بعدم راحة وتمتمت: «اعتقدت ببساطة انه...» وابتلعت بقية كلماتها دون أن تدري ماذا تقول.

«عقابه كان نتيجة لتصرف طفولي متوحش آنسة برنستا. نحن لا نعاقب أطفالنا لأي سبب يختلف عن أسبابكم في فرنسا على ما أظن».

ندمت هارمونيكا أشد الندم على تدخلها بهكذا مسألة عائلية بحثة فور وصولها هكذا وهزت رأسها بارتباك تام دون أن تتمكن من قول أي شيء. ومجدداً كانت الطابة بمرمى أنطوني للمدافعة عنها وقد فعل ذلك بصرامة وحدة أثارت دهشتها. كان يونانياً بكل معنى الكلمة، شقيقها التوأم، وهذا لا يزال يدعشها.

«لا تستطيع لوم هارمونيكا على ما فعلت ماركو» أعلن: «اقترحت ذلك من باب اللطف والرقّة - كيف كان لها أن تعرف أي محتال عفريت هو بوندو؟»

لم تستطع هارمونيكا إلا أن تشترك بالحديث نظراً لأن جزءاً من اللوم يقع عليها.

«آسفة إذا ما شعرت انني قد ارتكبت عملاً فيه إهانة لك سيد فيلوستو. لم يكن بنيّتي هذا إطلاقاً».

نظرت اليه بعيون براءة نصف متحدية وبدت الدهشة الكاملة على وجه أنطوني. من الواضح أن هذه لم تكن الطريقة المعتادة بالتعامل مع ماركو

فيلوستو لكنها لم تستطع منع كبريائها من التدخل.
للحظة واجهت القوة الكاملة للعيون السوداء هذه
بعمقها وانزعاجها ولربما بدهشتها الغامضة.

ثم ضغط انطوني على ذراعها بلطف ونظرت اليه
للحظة وببتلك اللحظة بالذات تبخر التوتر. كان
لماركو فيلوستو مزاجاً نارياً يشتعل بنفس سرعة
انطفائه. فقد خفت حدة نظره الى الظل مع ان
ملامحه ظلت عابسة وصلبة.

«أرسلك والدك الى غرفتك لمعاقتك، بوندو. هل
تعلمت درسك الآن؟» طأطأ الصبي رأسه بحماس:
«وستتذكر أن الحيوانات البرية مخلوقات يجب
حمايتها لا إطلاق النار عليها من بندقيتك اللعبة
مفهوم؟»

«أجل».

«إذا لم تتذكر ذلك فسيعاقبك والدك مجدداً - أو
سأفعل أنا بنفسى ذلك اذا كررت هذا التصرف
الهمجي. هل هذا واضح».

«أجل، أجل».

«بوندو - اسأل والدك ان كان يسمح لك بالبقاء
هنا».

يد كبيرة صرفت الصبي وركض الولد نحو الحديقة
والسعادة تنطلق من عيونه. لم يكن من المتوقع أبداً،

نسبة الى هارمونيكا على الأقل أن ترى ماركو فيلوستو
يرمق والدته بنظرة مرحة ويهز كتفيه باستسلام - شيء
غير متوقع لكنه إنساني جداً.

ابتسم انطوني الآن لهارمونيكا وأمسك بيدها قائلاً:
«هل نذهب الآن لمقابلة الباقيين في الحديقة
هارموني؟»

«آه، أجل - أجل بالطبع».

النظرة التي رمتها باتجاه ماركو فيلوستو كانتا غير
إرادية ورأت الطريقة التي ارتفع بها حاجبه بدهشة.
ارتعشت ساقاها الآن وكانا على وشك فتح باب
الشفرة حين أدركت أن ماركو فيلوستو كان قد أصبح
قربها.

رفعت نظرها اليه واعتقدت أنها رأت شبح ابتسامة
على وجهه وهو يقول: «لن يلتهمك أحد آنسة
برنستا، لا داعي لك لتظهري بمظهر - المرعوبة».

ارتفع اللون الى وجنتيها ولم تنطق وهي تسير نحو
الحديقة الرائعة وكل من انطوني وماركو فيلوستو على
جانبيها. ماركو فيلوستو كان نوعاً من اللغز الغامض
وتمنت لو أن رغبة تعميق معرفتها له لم تكن تتفجر
داخلها بقوة هكذا.

بقية أفراد العائلة كن رجل وامرأتين يجلسون حول
حوض السباحة نهضوا جميعاً لدى وصول الآخرين

والرجل هو الوحيد الذي ابتسم بحرارة لهارمونيكا
منتظراً التعريف.

«الآنسة برنستا، اسمحي لي بتعريفك على
مارسيليو كاريوس زوج شقيقتي - الآنسة هارمونيكا
برنستا ضيفتنا من فرنسا».

«أهلاً بك هارمونيكا» رد الرجل وصافحها بحرارة
أزالت بعضاً من توتر هارمونيكا.

«وشقيقتي ساريا كاريوس».

والدة الطفل حيثها بأدب وعيونها تعكس فضولها
لملاحظتها الشبه الكبير والواضح بين الضيفة وبين
انطوني.

الفتاة الأخرى كانت قد نهضت من مكانها فور
وصول الثلاثة إلى الحديقة ومنذ تلك اللحظة وعيونها
السوداء الكبيرة مركزة على انطوني. لا شك أنها
الخطيبة. أدركت هارمونيكا بيبغض وشعور بالغيرة
يكتسحها. الفتاة كانت في الثامنة عشر أو أقل بجسد
صغير وشعر أسود مشدود إلى الخلف بشدة ليظهر
وجهها برونزياً رقيقاً وعيون سوداء واسعة مركزة بقوة
على انطوني وحده.

وضع ماركو ذراعه حول أكتاف الفتاة بحركة أبوية
وقربها بلطف قائلاً: «الآنسة برنستا - ماروشكا
سيريالو، خطيبة انطوني».

شعرت هارمونيكا بعيونه المراقبة تتركز عليها
وتساءلت عن رد الفعل الذي يتوقعه منها. لربما أدرك
لسعة الغيرة اللحظية التي شعرت بها مع أنها بذلت
كل جهدها لتخفيها. وما حدث أن رد فعل الفتاة
اليونانية هو ما أثار حيرتها لأن الأخيرة بالكاد لامست
بأصابعها الباردة يد هارمونيكا وسحبتهن على الفور
متحاشية النظر إلى وجه هارمونيكا. لم تعرف
هارمونيكا سبب تصرف الفتاة هذا مع شقيقة خطيبها.

أدركت هارمونيكا بشعور خفي أن الخطوبة هذه
كانت مدبرة دون شك وشعرت بثورة بداخلها لفكرة
أن يضغط على شقيقها لإجراء خطوبة موافقة تقليدية
مع أن انطوني كما بدا كان موافقاً على هذا.

انطوني المتشوق كالعادة على التأكيد على شبيههما
أحاط بأكتاف هارمونيكا وقال موجهاً الحديث إلى
شقيقته اليونانية بالذات.

«ترون كم نحن متشابهان تماماً؟ ألا ترين ذلك
ساريا؟» تفحصت ساريا وجه هارمونيكا للحظات
طوال دون أن تنظر مباشرة إلى عينيها وقالت كأنها
تخاطب ماركو.

«هناك تشابه، ترى ذلك بدورك ماركو؟».

هو بدوره كان يتفحصها: «لقد قلت الشيء ذاته»
تابع بهدوء شكوك أم لا بدا وكأن ساريا قد اتخذت

قرارها فقد ابتسمت لهارمونيكا، وقالت: «أتمنى أن تستمتعي بإقامتك معنا آنسة برنستا، هل تعجبك اليونان؟»

«لم أشاهد أكثر من المطار في أثينا» ردت هارمونيكا فوراً ببعض الارتياح: «وهذه الجزيرة بالطبع لكني ذهلت بجمال ما رأيت حتى الآن».

بدا للحظة وكأنها قد تفوهت بشيء خاطيء مع انها لم تعرف لماذا وكيف.

«ألم يسبق لك أن زرتي اليونان من قبل آنسة برنستا؟ أو لنقل أثينا على سبيل المثال؟»

وكان صوت ماركو فيلوستو الهادى والعميق كان يقنعها بشيء فاستدارت بارتباك نحو انطوني. لم ينطق انطوني بشيء لكن الاحمرار كان هناك تحت بشرة وجنته البرونزية والامتعاظ كان بادياً بأعماق عيونه الخضراء.

«لم يسبق لي أن زرت اليونان من قبل سيد فيلوستو. لم أزر لا أثينا ولا أي مكان آخر في اليونان لكني أمل أن يصطحبني انطوني الى الاكروبول على الأقل قبل عودتي الى فرنسا».

«سنكون سعداء لاصطحبك الى أي مكان ترغبين برؤيته آنسة برنستا - أي واحد منا».

مجدداً شعرت بغرابة بأنهم يتعمدون إنكار اعتبارها

وانطوني كزوج توأم وأثار هذا بداخلها شعور من الامتعاظ والتحدي حاولت بجهد السيطرة عليه.

«هذا لطف كبير منك سيد فيلوستو لكني واثقة انني لن أضطر لإزعاج أي منكم. انطوني هو شقيقي وفكرت أن...».

«نحن عائلته ولهذا عليك اعتبارنا جميعاً بنفس الرغبة لجعل إقامتك معنا ممتعة ومسلية قدر المستطاع».

الصوت العميق الجذاب كان مقنعاً لكن أمراً ويخفي الصلابة الحديدية. ارتعشت هارمونيكا لإنداز ما رن داخل عقلها. ماروشكا سيريالو كانت بنفس وفتها ويداها متصلبتان كأنها تشعر بالإنزعاج والتعاسة من شيء ما. نظرة ساريا المتفحصة كانت لا تزال تنتقل عليها بالإضافة الى عدم رغبة ماركو فيلوستو بالاعتراف بشبهها بشقيقها التوأم.

يوجد دون شك تبرير وتفسير لكل هذا، تفسير منطقي ومعقول لعدم تقبلهم البسيط لها. كاشيقة توأم لأنطوني وتساءلت عن المشاعر العواطف والأفكار التي تدور تحت سطح أدب هذه العائلة الثرية القوية والتي كان شقيقها جزء منها. لربما ستظهر لها الأيام المقبلة هذا التفسير.

عادت الى غرفتها متأخراً في المساء وأدركت أن

ساريا وزوجها يقطنان فيلا أخرى صغيرة موجودة على جزيرة آل فيلوستو وأن الطفل يبقى مع جدته كلما اضطر الوالدان للسفر. حب الجدة العميق والواضح للطفل كان شيئاً جيداً لصالحها رغم عدم حب هارمونيكا الكامل لها.

استيقظت باكراً في الصباح ونزلت الى الحديقة لتناول الفطور كما عرفتھا وكادت أن تعود أدراجھا حين وجدت أن العجائز الوحيد على الطاولة كان ماركو فيلوستو إلا أنه سمع صوت حذاءھا ونهض للترحيب بها دون أن تتمكن من الانسحاب بصمت وانتظار وصول انطوني.

جلست على الكرسي المقابل له فيما تابع هو تناوله لطعام فطوره. وجدت هارمونيكا نفسها تراقبه بدقة عن دون وعي وشيء أقوى منها كان يجذبھا لهذا الرجل الغريب.

«هل نمت جيداً؟» سأل بصوت عادي.
«بشكل جيد أجل شكراً لك سيد فيلوستو. كنت مرهقة تماماً من رحلة الطائرة، وغرفتي مريحة جداً».
«جيد».

راقبت حركة يديه وهو يضع الزبدة على قطعة الرغيف ثم يقضمها بأسنانه الناصعة وانتفض شيء ما بداخلها وازدادت حيرتها من نفسها.

سكنت لنفسها القهوة وأخذت تحتسيها ببطء.

«هل تعجبك قهوتنا آنسة برنستا؟».

«إنھا أقوى قليلاً من القهوة المعتادة عليها لكنها تعجبني شكراً لك».

التقت بعيونه للحظة واحدة فقط تساءلت بعدها عن سبب بريق الاستمتاع داخل عينيه وداخل صوته وهو يقول:

«هل كنت ستعرفين بذلك لو إنھا لم تكن تعجبك؟».

«أجل بالطبع كنت سأفعل» ردت وهي تشعر بالحيرة من طريقة طرحه للأسئلة.

«لربما انت معتادة على القهوة التركية؟».

كان هناك شيء ما خلف سؤاله هذا لكنها لم تعرف ما هو وقبل أن تجيبه ظهر أنطوني وانحنى عليها مقبلاً جبينها والعيون السوداء الداكنة تراقب هذا باستمتاع.

«صباح الخير هارموني. أنت تنهضين باكراً حيا شقيقته ثم اتخذ كرسياً بينهما: «كالميرا ماركو».

شعرت هارمونيكا بتوتر خفي بأعماق شقيقها رغم تحدته المرح وتعليقاته المعتادة وتساءلت ان كان ماركو بدوره قد شعر بذلك.

«إذا لم يكن عندك أي عمل آخر لهذا اليوم انطوني» قالت وهي تسكب له القهوة: «أتساءل ان

كنت ترغب باصطحابي الى واحد من شواطئكم الرائعة حيث ستمكن من الجلوس والتحدث. لدينا الكثير لنقوله لبعضنا البعض وسنصيب عصفورين بحجر واحد - نتحدث ونقوم بحمام شمسي».

بدلاً من اظهار موافقة المتشوقة على اقتراحها كما كانت تتوقع نظر انطوني نحو شقيقه.

«سأستمتع بذلك كثيراً هارموني، اذا...» مجدداً تلك النظرة التي تحمل مزيج التوسل والتحدي: «اذا قام ماركو ب...».

لم ينهي كلمته لأن الرأس الداكن الذي تحرك بالرفض ببطء وصراحة أعطاه الرد.

موجة من الغضب العارم اجتاحت هارمونيكا، لم يتسن لها الجلوس مع شقيقها التوأم للحظة واحدة بمفردهما رغم افتراقهما الكبير عن بعضهما البعض وما أغاظها أن يحتاج انطوني لموافقة شقيقه الأكبر على هكذا طلب بسيط.

«آه، انطوني» قالت وعيونها تشرق كالجواهر بوجهها المتفجر وحولت غضبها الى الرجل الآخر الجالس بهدوء أمامها: «هل عليك طلب الإذن لاصطحابي الى الشاطئ؟».

الكلمات كانت موجهة الى انطوني لكن عيونها المركزة على ماركو فيلوستو أوضحت مصدر إثارة

غضبها الحاد.

وصلت رسالتها الى ماركو فيلوستو الذي قال بهدوء: «شقيقي كان على وشك سؤاله عن الحلول مكانه بالقيام بواجب يعود له، آنسة برنستا. على هذا رفضت ليس على متعة اصطحابه لك الى الشاطئ». لا أعرف الكثير عن عاداتكم في فرنسا، لكن في اليونان ليس من المعتاد تسليم واجبات الخطيب نحو خطيبته الى شقيق الخطيب المذكور».

قلوبها كان ينتفض بشدة وهي تحلق بالوجه البرونزي المنحوت من الصخر وأدركت بندم غلطتها بعدم فهم سؤال شقيقها.

«سُمح لماروشكا بالمجيء الى هنا نظراً لثقة عائلتها بعائلة انطوني ولأنها ابنة صديق قديم للعائلة وخطيبة لأحد أفرادها» أخبرها بنفس الصوت الهادئ: «لقد وعد انطوني، كما يفعل دوماً بهذه الظروف، بإعادتها الى منزلها هذا الصباح وبقضاء بقية النهار مع عائلتها في جزيرة «سباركوس». هذا وعد لا أستطيع أن أسمح له بنكته ولا حتى من أجلك آنسة برنستا».

«لم - لم أكن أعلم هذا» قالت وهي تتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعها وتخفت خلف رموشها وهي تغض بصرها وتتابع: «أنت لم تتوقع مني معرفة هذا

الأمر سيد فيلوستو».

ببطء وتعمد مسحت عيونه وجهها الملهب واعتلت شفاهه ابتسامة ساخرة وقال: «لم أتوقع تأنيبي بهذه الحرارة أيضاً. آنسة هارمونيكاً - تأتين لتدافعي عن شقيقي بقوة وشراسة النمرة!».

بدا وكأن الفكرة متسلية. لكن ما أذهل هارمونيكاً انها كانت ترتعش كالورقة.

«أتيت للدفاع عن شقيقي سيد فيلوستو - لربما بسبب الصلة الخفية الموجودة بين الاشقاء التوائم». «جيميبي؟ توائم الجنة؟».

اللهجة الساخرة لكلماته كانت متوافقة مع البريق الساخر داخل عينيه، لكن هارمونيكاً رفضت الاستفزاز.

«ماركو ماذا لو أصطحب هارمونيكاً معي بطريقي لإعادة ماروشكا الى أهلها؟» اقترح انطوني فجأة.

بدا وكأن ماركو يشعر بأن الفكرة مهيبة ومجدداً شعرت هارمونيكاً بالانزعاج لضرورة أخذ انطوني للإذن من ماركو.

«لن يكون هذا دبلوماسياً على ما أظن، ان تصطحب ضيفتك الى منزل أهل ماروشكا - عليك معرفة ذلك وادراكه بمفردك انطوني. سيكون عندك الوقت الطويل والكافي لتقضيه كما تشاء مع الآنسة

برنستا بعد عودتك من عند ماروشكا».

إطاعة انطوني لهذا أزعجتها لكنها أخفت انزعاجها لإدراكها انها الآن ببلد مختلف له عاداته وتقاليده المختلفة والغير مفهومة بالنسبة لها.

ظلت صامته ورفع انطوني كتفيه باستسلام بعد لحظات وقال:

«غداً هارموني. سأخذك غداً أعدك بذلك».

طأطأت هارمونيكاً بموافقة ولكن حين رفعت عيونها الى ماركو فيلوستو وجدت عينيه داكنة وغير مقروءة وأدركت أن ما وعد به شقيقها سيتحقق فقط بموافقة صاحب هذه العيون الساحرة.

تصورت هارمونيكاً أن يومها الأول على الجزيرة والذي ستقضيه دون وجود انطوني الى جانبها سيكون يوماً رهيباً ومزعجاً. لكن اتضح أن الحقيقة عكس ذلك تماماً. فقد قضت يوماً رائعاً ومسلماً مع ساريا، زوجها وطفلها. ووجدت أن المرأة لطيفة المعشر وخفيفة الظل وانهما يتشاركان بحب باريس وكل ما فيها.

تناولوا جميعاً العشاء بنهاية النهار وحمدت هارمونيكاً الله لعدم اضطرارها لتناول العشاء مع ماركو فيلوستو ووالدته فقط.

عاد انطوني الى المنزل بعد خلود هارمونيكاً الى

النوم وقلبها يمينها بقضاء يوم سعيد في الغد برفقة شقيقها الذي طال انتظارها له.

تعمدت التلكؤ بالنزول الى الطابق السفلي صباح اليوم التالي ونزلت بعد أن قدرت أن انطوني بدوره سيكون قد استيقظ. كانت بطريقها الى الشرفة حيث يتناولون طعام الفطور دوماً كما عرفت من اليوم السابق حين استرعى انتباهها ضجيج أصوات غاضبة تصدر من غرفة ما قرب باب الشرفة.

الأصوات كانت غاضبة ومحتدة ولم تفقه شيئاً من هذا النقاش لأنه كان باليونانية لكن ما ميزته أن الأصوات تعود لأنطونيو ولماركو وللسيدة فيلوستو. كانت تتساءل عن سبب شجارهم هكذا بمثل هذا الصباح الرائع وهي تتابع سيرها حين تصلبت مكانها حين سمعت وبوضوح تردد اسمها بصوت ماركو فيلوستو. بلكنته الساحرة الخاصة وصوته العميق الذي كان الآن أبعد ما يكون عن الهدوء. اذن فهي طرف أو أساس هذا النقاش فكرت بغضب وحيرة كاملة ما بال هذه العائلة؟ ما دام وجودها مرفوض أو مصدر مشجارة هكذا فلماذا سمحوا لها بالمجيء من الأصل؟.

سارعت بالتوجه الى الحديقة حين سمعت صوت أقدام تقترب من الباب. وما هي الا لحظات حتى

وافاها انطوني الى الحديقة.

«هارموني - صباح الخير» قال وقبلها على وجنتها وابتسامة صغيرة تعلو ثغره.

الغضب كان لا يزال يتأجج داخل عينيه وازدادت تعاسة هارمونيك الداخلية. فقدومها لم يكن للتسبب بأي مشاكل أو متاعب لأنطوني أرادت فقط مقابلته وقضاء وقت ممتع معه كونه شقيقها الذي لم تراه منذ عشرات السنوات.

لم تقل له شيئاً حول ما سمعته الى أن جلسا معاً على طاولة الفطور وتأكدت من تناوله لفطوره، ماركو كان قد تناول فطوره قبل وصولها وقد غادر المنزل الآن.

«انطوني...» قالت بتلعثم وهي تفتش عن الكلمات المناسبة: «كنت - كنت بطريقي الى هنا قبل قليل وسمعت - لم أتقصد ذلك لكني سمعت أصواتكم أنت وماركو ووالدكم أيضاً - بدا، بدا وكأنكم كنتم تتشاجرون».

تابع انطوني تحريك قهوته ببطء وقال دون أن يرفع نظره اليها: «اه، كان ذلك مجرد عدم اتفاق عائلي بسيط هارموني - تعرفين مثل هذه الأشياء تحدث».

«انطوني» قالت وأمسكت بيده وعيونها تتوسلانه لمواجهتها: «سمعت - سمعت اسمي ضمن النقاش».

لم أشأ التنصت.

رفع نظره اليها فتابعت: «لم أشأ ذلك حقاً لكن حتى ولو نطق باليونانية إلا أن بإمكانني تمييز اسمي» شدد يدها على يده أكثر: «انطوني اذا كان وجودي سيتسبب لك بالمشاكل مع عائلتك. اذا كنت ستتشاجر معهم بسببي - فيجب علي العودة من حيث أتيت».

«آه، هارموني» قال بقلق وهو يحدق بها بقلق ليعرف مدى تصميمها على ما تتفوه به:

«لن تذهبي قبل أن يتسنى لنا الوقت للتحدث - لهذا السبب أتيت الى هنا! لن أسمح لك بالمغادرة الآن، قبل أن نتعرف ملياً على بعضنا البعض».

«أنا لا أرغب بالمغادرة أنطوني، لكن...» نظرت الى أياديها المتشابكة للحظة. لم يكن من السهل عليها الاعتراف لنفسها أنه لربما من الأفضل لأنطوني لكي يكون سعيداً العودة الى فرنسا وترك الأمور على ما كانت عليه قبل اكتشافهما للحقيقة: «أنا - أنا لا أحب أن تتجادل مع عائلتك بسببي وبسبب وجودي هنا. لا أفهم اطلاقاً سبب عدم حب والدتك وماركو لي - مع انني أفهم انزعاجهما من وصول شخص ما وفجأة لتذكيرهم أنك ليس ابنهم الحقيقي انك ليس جزءاً منهم - بل - بل شخص غريب».

«لكن الأمر ليس هكذا هارموني».

«اذن ما الأمر؟ لماذا هما - خائفان لهذه الدرجة؟».

غطى يديها يديه وظلا كذلك للحظة طويلة قبل أن يقول: «لا يسهل شرح هذا الأمر هارموني - المسألة انهم لا - لا يثقون بي - وهذا خطأي أنا. أكره عدم ثقتهم بي يجعلني هذا تعيساً جداً لكن...» هز كتفيه باستسلام متابعاً: «لا أستطيع اللقاء اللوم عليهم بشكل كبير».

«قل لي» توسلته بقلق ووجهها يعكس تلهفها لفهمه.

«انها قصة طويلة ولربما لن تفهمين».

«بإمكانك أن تحاول» لا شعورياً انحنت نحوه وقبلته: «سأفهم أعدك بذلك. أنا شقيقتك التوأم انطوني وبيننا طريقة خاصة لفهم بعضنا البعض».

شجعت كلماتها فابتسم للحظة ثم بدأ: «بدأ الأمر حين كنت أدرس في الجامعة - حتى السنة السابقة كنت أدرس في جامعة أثينا والتقيت - بفتاة هناك. فتاة فرنسية - بريجيت ساربو».

«التقيتها في الجامعة؟» سألته بتفهم.

هز رأسه بالنفي دون أن ينظر مباشرة اليها: «كنت أنا هناك، هي لم تكن، كانت جميلة جداً واعتقدت -

اعتقدت انني وقعت بحبها. كانت تعيش في أثينا مع عائلتها، تعرفين والدها كان في السلك الدبلوماسي. كنا نتقابل دوماً. لم تكن المسألة مجرد علاقة عطفة».

«لكنك كنت مرتبطاً بماروشكا؟».

بدا خجلاً من الاعتراف بذلك: «أعرف انني كنت مخطئاً هارموني».

«أنا لا أضع اللوم عليك» هي لا تلومه هو بل تلوم ماركو فيلوسستو بالطبع، لا شك أنه من رتب أمر هذه الخطوبة بين انطوني وماروشكا بما انه الأخ الأكبر وهو المسؤول عن تسيير أمور العائلة. وهو لن يرغب بالطبع بتعريض هذه الخطوبة للتهديد.

«انطوني...» نظرت اليه بتوسل قلق: «أكانت - أكانت هذه الخطوبة بينك وبين ماروشكا - مدبرة؟» بدت الحيرة عليه فتابعت بسرعة: «أقصد هل قام ماركو بترتيب أمر هذه الخطوبة؟».

«تمت خطوبتنا حين بلغت ماروشكا الثامنة عشرة وستتزوج في السنة القادمة. انه ترتيب يرضي العائلتين».

«لكنك لا تريد أن تتزوج ماروشكا؟».

مجدداً بدت الحيرة وكذلك التوتر على ملامحه: «بالطبع سأتزوج ماروشكا. لست رافضاً أو غير راغب

بذلك. لكن مر وقت - السنة الماضية حين أخذت أقابل تلك الفتاة مراراً وتكراراً - لن أقول انني لم أكن غير سعيد. أخبرت ماركو انني أرغب بالتححرر من هذه الخطوبة وبالعودة الى فرنسا مع بريجيت حين تعود الى هناك مع عائلتها».

«رفض ماركو دون شك بفسخك لهذه الخطوبة!».

ظلت عيونه على يديهما وقال: «أرى الآن انه على حق بالطبع».

«لم يكن على حق» قالت ورفع انطوني نظره فجأة الى ملامحها المتفجرة وعيونها الملتهبة: «لا يحق لأي شخص بإخبار أي شخص آخر عمن يتزوج! هذا - هذا - هذا شيء غير متحضر».

«لكن، هارمونيكا» قال وهو يشد على يديها: «لا تفهمين نقطة يا شقيقتي، ماركو كان على حق برفض ذلك، بعدم السماح لي برمي نفسي بشيء - شيء ما كنت لأشعر بالسعادة لو فعلته على ما أظن. لكنني كنت بالغ الغضب حينها وهددتهم بإيجاد طريقة ما للهروب مع بريجيت وعدم العودة الى عائلتي أو الى المنزل مجدداً».

لم تستطع هارمونيكا فهم هذه النقطة كلياً فالروابط العائلية هنا تختلف تماماً عنها في فرنسا.

«وهل حاولت الهروب فعلاً؟».

هز رأسه نفيًا وتابع: «أقنعني ماركو بعدم فعل ذلك وأرى الآن انه كان على حق، كنت أحققاً كفاية للسماح لمشاعري بالسيطرة علي، لكن لفترة ما كنت واثقاً وكنا - بريجيت وأنا نتبادل الرسائل. استمر هذا لأشهر وأشهر لكن - أدركت أن الأمر لم يعد نفسه حين توقفت عن رؤيتها، توقفت عن قضاء الوقت الطويل معها» ابتسم لها وتابع: «اعتقد انني لم أكن أحبها فعلاً هارموني، وإلا لما تغير شعوري نحوها هكذا».

«أعتقد ذلك» اعترفت بتردد وتابع: «لكنني لا أفهم ما علاقة هذا باعتبارهم لي بتشكك هكذا».

بدا منزعجاً وهو يحدق بالأيدي المتشابكة وقال: «هذا هو خطأي أنا لدرجة ما أيضاً. كنت - كنت مصراً جداً على التأكيد على انني سأجد يوماً ما طريقة ما لأكون مع بريجيت مع انني قد تخطيت الآن - تلك القصة، هم لا يثقون بي تماماً، وحين ظهرت فجأة قضية وجود شقيقتي التوأم اعتقدوا - اعتقدوا انني غير صادق تماماً معهم. اعتقد انهم يخافون ويخشون من ذهابي الى فرنسا وعدم عودتي الى المنزل أبداً، لكن أيضاً...».

تردد لفترة طويلة جداً حتى اضطرت هارمونيكا ان تحثه ليتابع: «أيضاً ماذا أنطوني؟».

تردد هائل مجدداً ثم وبصعوبة فائقة قال وعيونه بعيدة عنها: «أترين هارموني ولم يشاهد أي شخص بالعائلة بريجيت أبداً. يعرفون فقط انها فتاة شقراء، جميلة وبعيون خضراء واسعة» أخذ نفساً عميقاً ثم تابع: «انهم غير واثقين عن عدم خداعي لهم مجدداً الآن هارموني - يعتقدون انك - انك بريجيت ساربو».

حدقت هارمونيكا به بعيون متوسعة ومذهولة: «لكن - لكن لم يسبق لي أن سمعت شيئاً - تافهاً تافهاً كهذا. لقد قدمت لهم البراهين على كوننا توأم. السيد مارك محامي أرسل لهم الرسائل والأوراق التي تثبت حقيقة هويتي أليس كذلك؟ ألم يشاهدوا الدليل الذي يحتاجون؟ اه انطوني هم بالطبع لا يصدقوا انني بريجيت ساربو تلك؟».

هز رأسه وشد مجدداً على أصابعها وقال: «أظن انه بوجودك هنا فقد أقنعتهم هارموني. لهذا السبب أرادك ماركو أن تأتي الى هنا، حتى يراك بنفسه ويقرر».

«وهل يعتقد فعلاً أن أية فتاة سترضى بالمجيء إلى هنا، بكل جراءة ووقاحة؟ هل يراني فعلاً وكأنني - وكأنني فتاة جريئة وقحة ستقطع ربع الأرض لملاحقة حبيب ثري؟».

«ليس أنت هارموني» أسرع بتطمينها: «رأيه بك

ليس سيئاً لهذه الدرجة».

«إذا لا يزال يشك بكوني بريجيت ساربو فسيعتقد أنني فتاة جريئة حتى أقصى درجة» أصرت: «آه انطوني أستطيع وبسهولة كره شقيقك الأكبر هذا».

عمق وحدة ردة فعلها لم تفاجأه، شد على أصابعها برقة ولكن عيونه ظلت قلقة وهو يقول: «أمل ولاجلي ألا يكون شعورك نحوه هكذا، هارموني، بل ان تتعلمي أن تحبيه كشقيق آخر لك».

شقيق! فكرت هارمونيكا بتلك العيون وتلك الملامح وشكت بقوة أن تشعر يوماً بشعور الأخوة نحو ماركو فيلوستو هذا.

قررت هارمونيكا تجاهل أمر شكوك العائلة هذه والاستمتاع بوقتها مع شقيقها ولتترك الأيام تأنيها بما تأنيها به. وهكذا قضت بقية الأسبوع بالغوص والسباحة والركض على الرمال مع انطوني. كانا يتحدثان كثيراً عن كل شيء وأي شيء وكان الوقت يمر سريعاً وهما معاً. السيدة فيلوستو أخذت كما يبدو تتقبل وجود هارمونيكا كشقيقة فعلاً لأنطوني وأخذت معاملتها للفتاة تصبح أكثر لطفاً ولياقة.

لكن بما أن انطوني كان مديراً مساعداً بشركة فيلوستو الضخمة فإن ظروف عمله منعه من رؤية هارمونيكا في الأسبوع التالي. بسبب انشغاله بالعمل

في المكتب نظراً لأن ماركو كان المسؤول عن مكتب الشركة في أثينا.

كانت هارمونيكا تقضي الأيام برفقة ساريا وطفلها بانتظار تمكن انطوني من التفرغ لها مجدداً.

نهضت صباح يوم السبت بنشاط باكراً وارتدت ثوباً أسوداً رقيقاً فوق ثوب سباحتها الأسود والمنقط بالأبيض. مرت من قرب مكتب انطوني ورمقت الباب بحسرة وعلى وجهها نصف ابتسامة حين فتح الباب فجأة وخرج منه ليس انطوني بل ماركو فيلوستو نفسه.

تجمدت الابتسامة على وجهها وتفحصتها العيون السوداء للحظات قبل أن تسمعه يقول:

«هل رتبت القيام بشيء ما لليوم آنسة هارمونيكا؟».

اسمها يتخذ تأثيراً غريباً وغامضاً عليها كلما نطق هو به بصوته العميق هذا.

«أنا - كلا، لا أعتقد ذلك سيد فيلوستو» قالت وهي تشعر بجاذبيته المطلقة وأزعجها هذا الشعور الذي لم تختبره من قبل بوجود أي رجل آخر ووجدت نفسها تراقبه وهو يقترب منها بقلب ينتفض بسرعة مفاجئة.

«لدي القليل من اليوم وتساءلت ان كنت ترغبين

بزيارة الاكروبولس كما سبق وذكرت».

حدقت به للحظة طويلة بعدم تصديق ثم قالت:
«تقصد انك - ان اذهب برفقتك؟».

«كنت ترغبين بالذهاب الى هناك أليس كذلك؟».

«آه بلى، أرغب بالذهاب الى هناك لكنني
اعتقدت...» ونظرت بعفوية الى باب المكتب
خلفه.

«أتعتقدين أن أنطوني هو دليل قادر أكثر مني؟»
سأل.

«كلا، بالطبع لا» قالت دون أن تتمكن من ردع
اللهات بصوتها والاحمرار الذي كسا وجنتيها: «أنا -
أنا فقط أشعر بالمفاجئة، هذا كل شيء، سيد
فيلوستو. اعتقدت انك - أقصد انني اعتقدت انه
سيكون لديك أشياء أهم لتقوم بها أهم من اصطحابي
لرؤية الاكروبولس».

ارتفع حاجبه وبرقت عيونه وتساءلت كيف
ستتمكن من قضاء ساعة كاملة أو أكثر برفقة هذا
الرجل الذي يؤثر عليها بطريقة غريبة لم يسبق أن
اختبرتها من قبل.

«لقد وعدنا بجعل اقامتك هنا ممتعة ومسلية قدر
المستطاع أليس كذلك؟» سأل وطأطأت هي برأسها.
«أجل - وأنا ممتنة جداً - شكراً لك».

شعرت بتجذرها بالمكان هذا وبعدم معرفتها
للخطوة الثانية الواجب عليها القيام بها والعيون
السوداء هذه ترمقها بتعبير غامض قبل أن يتسم
ويقول:

«سنغادر بعد ١٠ دقائق. حاولي أن تكوني جاهزة
آنسة هارمونيكا».
«أجل. سأفعل».

كبادت أن تطير وهي تسرع على السلالم نحو
غرفتها وأدركت تماماً أن ماركو كان يراقبها لربما وهو
يتسم ابتسامته الخاصة تلك. أغلقت الباب خلفها
واتكأت عليه ثم نظرت الى نفسها بالمرآة فرأت وجهاً
متورداً وعيوناً براقاً وفم مرتجف، ما هو هذا التأثير
الغريب الذي يمارسه هذا الغريب الساحر عليها؟.

الأكروبولس كانت شيئاً أكثر من خرافة لسحر
وعظمة مركزة على أعمدة خيالية ومباني متناثرة هنا
وهناك ومعابد ضخمة تعكس الماضي وحضارته.
حدقت بالمكان وتراءى أمامها السحر القديم
والعذارى والكهنة والملوك بأرض السحر والجمال.
«هل تأثرت؟».

صوت ماركو الرقيق والعميق قربها أعادها الى
الواقع ورفعت نظرها اليه وعيونها لا تزال تحمل
صورة الحلم.

«آه، أجل! هذا - هذا غير معقول» صوتها كان هامساً وأنفاسها لاهثة: «انه جميل بشكل لا يوصف و... ومؤثر جداً».

ابتسم ماركو. ليس تلك الابتسامة الهازئة المعتادة عليها بل ابتسامة ساحرة مطولة أضاءت ملامحه وجعلت عيونه براقاً أكثر وبدا أصغر سنّاً وشباباً. كان جزءاً لا يتجزأ من هذا المكان وتاريخه.

«من الممتع جداً دوماً! احضار شخص ما الى هنا للمرة الأولى ورؤية نظرة السعادة التي يلهمها هذا الوجود».

«هل لهذا السبب أحضرتني الى هنا؟».

أدركت بعد فوات الأوان أن سؤالها هذا كان محرضاً ومثيراً لكنه ظل يبتسم وقال وعيونه تشبكان نظرتها.

«بالطبع. هل تسيئين فهم دوافعي، آنسة هارمونيكا؟».

هزت رأسها نفيّاً بسرعة لأن آخر ما أرادته بهذه اللحظات كان المشاجرة معه فلا شك أنه أحضرها فقط لتشاهد كنوز بلاده الخاصة.

«آه، كلا» ردت بسرعة ولهفة: «أرجوك لا تفكر هكذا».

تمتم شيء ما باليونانية ولكن جو السلام ظل

يرفرف بينهما ووجدته يتأبط ذراعها فجأة ويسير معها الى بقية الآثار. وفجأة أضاءت إثارة غريبة أعماق شرايينها ووجدت الاكروبولس أكثر جمالاً وفنّة.

غريب كم مر الوقت بسرعة وحين اقترح ماركو بتناول الغداء معاً أدركت كم هي تشعر بالجوع. اصطحبها الى مطعم يوناني جميل المنظر وتقليدي الجلسة. طلبا الغداء ثم نظرت هارمونيكا الى الرجل الجالسي قبالتها وقالت وعيونها تبتسم.

«أنا - أنا ممتنة جداً لك لتوفير هذا الوقت السابق لقضائه برفقتي سيد فيلوستو، شكراً لك».

أحنى رأسه متقبلاً شكرها بحركة يونانية أصيلة وشعرت فجأة بالراحة التامة معه كما لم يسبق لها أن فعلت من قبل. كأنها اقتربت منه دون أن تشعر بذلك وكأنها قد أصبحت مقبولة وفجأة.

«يسرني استمتاعك بما شاهدت آنسة هارمونيكا...».

«آه، أرجوك» قالت بحماس وقبل أن يتابع كلامه: «ألن تناديني فقط باسم هارمونيكا كما يفعل انطوني؟ انه شقيقك وأنا - أقصد انه شقيقنا معاً وهذا يعني...».

جاء لانقاذها بابتسامة خفيفة ظهرت بأعماق عينيه: «إذا كنت تقترحين انني أنظر اليك من منظار الأخوة

أيضاً قال بهدوء: «لا أستطيع أن أرى نفسي بهذا الدور وهذا الإطار أنا آسف. لكن ليس عندي أي مانع باستعمال اسمك الجذاب جداً هارمونيكاً».

التأثير بسماعها لاسمها من صوته حمل نفس التأثير المعتاد عليها وتساءلت ان كان سماحها لاستعمال اسمها يسمح لها بالتالي باستعمالها لاسمها الأول.

وصل الطعام وتناولاه وهي تشعر بنظراته المتفحصة التي كانت ترمقها بين الحين والآخر. كانت تتحاشى ملاقة نظراته التي كانت تفعل بها الأعاجيب. سمحت لعقلها بالنوم الآن تاركة العنان لسحر اللحظة.

كانا يحتسيان العصير حين أصبحت قوة نظراته لا تحتمل ووجدت نفسها تنظر اليه بتساؤل واضح.

«آسف هارمونيكاً» قال ووضع كوبه جانباً وهو يهز رأسه ببطء: «كنت - كنت ... ايه؟».

قلبها كان ينتفض بشدة داخل أضلاعها وقالت بصوت حاولت أن تجعله ثابتاً قدر المستطاع:

«هناك كلمة كهذه أجل - سواء أكان هذا ما تقصده بالضبط».

«انها الكلمة التي أبحث عنها بالضبط - التعجب، ايه؟ التعجب من سبب بقاء فتاة بالغة الجمال مثلك

دون زواج حتى الآن».

السؤال الشخصي البسيط هذا أذهلها بشكل تام ولم تستطع إلا أن تحديق به بعيون براقه غير مصدقة. ثم هزت رأسها ببطء ورطبت بلسانها شفاهها الجافة.

«أنا - أنا لم أقابل بعد الشخص الذي أرغب بالارتباط به».

ارتفع حاجبه بتلك الطريقة المستغربة التي تثير حيرتها دوماً وقال: «لو كنت شقيقتي بالفعل. لكنك قد وجدت لك زوجاً قبل هذا الوقت بكثير - ما كنت لأواجه صعوبة بهذا مطلقاً».

«لا يوجد صعوبة بذلك، أنا ببساطة لم أقابل الرجل المناسب بعد» وتابعت: «لا أعرف لماذا أنت دقيق جداً بمسألة تزويج الجميع. سيد فيلوستو، مع انك نفسك لا تزال عازباً سعيداً».

لم ينظر اليها وهو يقول بهدوء: «أنا لست، كما تعتقدين، عازباً سعيداً أم لا هارمونيكاً. توفت زوجتي أثناء عملية الوضع قبل أكثر من عشر سنوات والطفل بدوره لم يتمكن من النجاة» لم يعطها الوقت للتعليق بأية كلمة. حتى ولو وجدت نفسها قادرة على فعل ذلك بعد جملة المفاجأة تلك وتابع على الفور:

«واذا حدث وفكرت بالزواج مجدداً، فسأضعك أنت ببالي لأنك تشكّلين لي تحدياً أجد من الصعب

مقاومته».

وجدت هارمونيكا نفسها في الأيام اللاحقة تتحين الفرصة لفتح موضوع نهاية زواج ماركو التعيسة تلك. هي لم تكن فضولية بطبعها لكن شيئاً ما داخلها ظل يلح عليها بمعرفة تفاصيل ما حدث. وكانت هذه الأفكار تدور برأسها وهي تسبح مع شقيقها على شاطئ اللازور الساحر. قضائها للأيام السابقة في السباحة قد أعطاها لوناً برونزياً جميلاً وزاد من الشبه بينها وبين توأمها البرونزي جداً ولكن كان أمامها أيام وأيام حتى تكتسب نفس درجة لون بشرة شقيقها الساحر.

نظرت اليه وهما مستلقيان على الرمال الذهبية بجسده المتناسق وشعره البراق وشعرت بوجود تلك الرابطة القوية التي يختص بها التوائم بينهما رغم افتراقهما لسنوات عديدة. وكأنه شعر بها تحديق به فقد فتح أنطوني عينيه ورفع النظارة الى شعره وابتسم لها قائلاً:

«ماذا يدور بعقل شقيقتي الجميلة؟».

ضحكت وقالت: «كنت أتساءل ما الذي كان سيحدث لو أنني جئت الى اليونان برحلة ما وصادفتك دون أن أعرف انك شقيقي التوأم».

ضحك أنطوني بدوره واتكأ على مرفقيه دون أن

يبعد عيونه عنها وقال: «أولستُ ذاتك - المتشابهة؟ نحن متشابهان لدرجة كبيرة هارموني. مما يدفعني للقول انك كنت ستجدينني شاباً ساحراً ولا يقاوم صحيح؟».

«أكيد» اعترفت بابتسام: «مع انني أفضل الرجال السمر عادة».

«هكذا؟» قال بعيون براقة: «الرجال البالغين السمرة مثل ماركو ربما؟».

شعرت بصعود الدم الى وجنتيها وأبعدت نظرها عن عيون شقيقها المرححة وقالت متصنعة الضحك:

«بالكاد، قلت الرجال السمر ولم أحدد شخصاً ذاته على الخصوص. وهذا الشخص ولو وُجد لن يكون ماركو فيلوستو بالتأكيد هناك العديد من الرجال السمر الجذابون في اليونان وأنا متأكدة انهم سيكونون أسهل للسيطرة من شقيقك المتعجرف هذا».

نظر اليها بتعطيب للحظة قبل أن يهز رأسه ببطء:

«أنت لا زلت تسيئين فهم ماركو، هو ليس - ليس الشخص عديم المشاعر والأحاسيس الذي تعتقدينه يا شقيقتي العزيزة. هو قوي وصلب هذا صحيح، كما كان والدنا، لكنه أيضاً حساس ورقيق أنت تخطئين بحكمك عليه هارموني، وهذا أمر يحزنني».

«ربما أنت على حق» قالت بعد لحظات قليلة:

«ليس علي إصدار حكمي عليه بهذه السرعة وأنا لم أعرفه إلا منذ فترة وجيزة. مشكلتي انني كما أبدو أضع قدمي دائماً بنطاق ماركو».

قطب أنطوني قائلاً: «تضعين قدمك - هارمونيكا أنا لا أفهمك - ما هذا تضعين قدمك؟».

ضحكت بمرح وقالت: «أنا دوماً أنفوه بالأشياء الخاطئة، هذا ما قصدته مثلاً لو انك أخبرتني أو لو أن أحدهم أخبرني أن ماركو أرملاً وليس عازباً لما كنت احتديت بحديثي معه حين اصطحبني الى أثينا في الاسبوع السابق».

بدا مهتماً وسأل: «وكيف ذلك؟».

شرحت له هارمونيكا باختصار وتابعت بمرح. قدر المستطاع: «لقد اتهمته مباشرة بتصميمه على تزويج كل من حوله باستثناء نفسه هو - قلت انه من يدفع بك للزواج و... حسناً، لا تهتم، في حين انه يعيش كأعزب سعيد وفرح! وحين أخبرني عن... هزت رأسها وتابعت: «شعرت بكل سوء انطوني».

«ألم تكوني تعرفي انه كان متزوجاً؟».

«بالطبع لم أكن أعرف انطوني! وأنى لي ذلك؟» جلست بسرعة مغتنمة هذه الفرصة وتابعت: «شعرت بالسوء من نفسي للتفوه أمامه. بهكذا ملاحظة فيم هو قد فقد زوجته وطفله بنفس اللحظة. لم أكن على

علم بذلك - فقط تمنيت لو كنت أعرف».

«لربما كان عليّ اطلاعك على ذلك» قال وهو يمسك الرمال بأصابعه ودون أن ينظر اليها.

«لربما عليك أن تفعل» قالت: «أشعر بالجهل المطبق بكل ما يتعلق بماركو بحق السماء لو كان هناك شيء آخر بشأنه عليّ معرفته بدلاً من التصادم معه مجدداً. فأطلعني على ذلك انطوني قبل أن أرتكب خطأ آخر كالسابق».

عيون انطوني كانت تعكس فضوله وهو ينظر اليها وحاجبه مرتفع بنفس طريقة ماركو.

«ما الذي أخبرك به عن زوجته؟» سألتها.

«فقط انها توفت وهي تضع طفلها قبل عشرة سنوات، وان الطفل توفي بدوره» نظرت اليه للحظة قبل أن تسأل: «كيف كانت انطوني؟ لا شك انك كنت تعرفها».

«قليلاً» قال: «كانت جميلة وبعمر العشرين تقريباً، كنت أنا في الثانية عشرة فقط ولم أكن أنتبه كثيراً للشكل».

كانت هي بنفس عمر شقيقها أيضاً حين كان ماركو فيلوستو متزوج ورب أسرة. بسرعة هزت رأسها مبعدة هذه الأفكار المزعجة عنها وقالت: «ما كان علي طرح مثل هذا السؤال - الشخصي انطوني! آسفة»

حديق بها للحظات وعرفت ما يدور بخلدته حتى قبل أن ينطق أفكاره كلمات تقول.

«لكنك تشعرين بالفضول والتسلية هارموني لمعرفة المزيد أليس كذلك؟».

أرادت أن تنكر لكنها لم تستطع ولم يترك هو لها المجال فقد سارع بالمتابعة: «كان اسمها فيرونیکا وكانت من أثينا - لكننا لم نراها كثيراً قبل زواجها من ماركو مع أن ماركو وأبي كانا يزوران عائلتها أولاً قبل أن يبدأ ماركو بذهابه منفرداً الى هناك بعد تسوية أمر الخطبة».

ارتعشت هارمونيكا قليلاً وأدركت الرد على سؤالها حتى قبل أن تسأله.

«أكانت - هل كان ماركو - هو من اختارها؟ هل كان يحبها؟».

تعمقت نظرة الفضول داخل عيون انطوني ثم هز كتفيه قبل أن يرد: «أظنها كانت متلهفة جداً للزواج من ماركو وهو أدرك فوائد إتمام هكذا زواج. فيرونیکا كانت الابنة الوحيدة لوالد بالغ الثراء».

«وهل تحتاج ثروة فيلوستو المزيد من المال؟» قالت بمرارة دون أن تعرف السبب بذلك.

«كانت مصاهرة جيدة» أكد لها انطوني ببساطة: «وبدا أن الأمور تسير بينهما بشكل جيد، حسبما

أذكر. والدي وماركو كانا مسروران للنتائج خاصة حين أصبحت فيرونیکا حاملاً».

هزت رأسها متحججة بإزالة الرمال عنه فيم هي تطرد من فكرها فكرة أن يقوم ماركو العميق المشاعر باختيار زوجة له فقط لأن هذا مناسباً.

«أذن فالأمر كان مدبراً! مقطعاً ومُقاساً! كخطوبتك أنت وماروشكا».

أظهر صوتها بعضاً من المرارة التي كانت تعترها فرفع انطوني عيونه اليها بتساؤل حائر وقال.

«ليس تماماً كخطوبتي وماروشكا، هارموني. أعرف ماروشكا طوال حياتي وترعرعنا معاً ونحن أطفالاً».

«لكن ماركو تزوج غريبة!».

«كان حزيناً جداً حين توفت» أكد لها انطوني: «والطفل كان صبيّاً - كان الأمر محبطاً وتعيساً جداً بالنسبة له».

حدقت بالمياه المتلألأة وقالت بصدق: «لا أعتقد انني سأفهم انطوني حتى ولو عشت هنا لمئة سنة! يبدو هذا عملياً شيئاً بلا - بلا مشاعر».

«آه. هارموني» قال بحرارة وهو يحاول أن يفهمها الأمور التي يتقبلها هو: «العديد من الناس - معظم الناس يتزوجون بدافع الحب لكن اذا كان بالإمكان

الحصول على مصاهرة جيدة فما السوء بذلك؟
الاختيار الصحيح لشريك العمر الأبدي لا يعني
بالطبع السجن الأبدي - إذا ما ترافق ذلك مع موافقة
العائلة».

«وافترض أن العائلة لا توافق انطوني؟».

«عادة يكون سبب الرفض صحيحاً هارموني. كنت
لأندم أشد الندم على تركي للعائلة ولموطني لو انني
رحلت مع بريجيت، أنا أعرف ذلك الآن وأشعر
بالامتنان لماركو لأنه كان - حازماً وصارماً معي».

«ماركو!» صاحت بعمق ومبالغة: «كل شيء بهذه
الجزيرة يدور حول ماركو كما يبدو أليس كذلك؟».

«بالتأكيد» قال وهو يشعر بالاندهاش لاستغرابها:
«انه ماركو فيلوستو - الابن الأكبر ورأس عائلتنا».

كان يتحدث بفخر كبير كأنه فعلاً ابن هذه العائلة
وأدركت هارمونيكا بتلك اللحظة بالذات انه لن يكون
الا انطوني فيلوستو مهما هيا لها تفكيرها عكس
ذلك.

«فقط حتى تتزوج أنت وماروشكا وتنجبان أطفالاً
ذكوراً بالطبع».

قالت بابتسام: «أولادك هم من سيحملون الاسم
من بعدك أليس كذلك؟».

«آه، كلا هارموني» قال بدهشة: «ليس أولادي بل

أولاد ماركو. لم يبلغ الخامسة والثلاثين بعد، رجل
بعض شبابه، يا شقيقتي وسيقوم بالزواج مجدداً دون
شك حين يجد الزوجة المناسبة. آه، كلا هارموني
أولاد ماركو هم من سيرث ساردا وتقليد فيلوستو
وليس أولادي».

تذكرت ما قاله لها ماركو فيلوستو في الاكروبولس
وقالت لشقيقتها:

«هل يدهشك أن تعرف أن ماركو قد عبر عن نيته
بالتفكير بي في حال قرر الزواج مجدداً؟».

توقعته أن يشاركها مرحها بهكذا فكرة لكنه بدا
جدياً جداً وقال: «سيكون هذا مناسباً تماماً. وسأحب
كثيراً فكرة بقائك هنا على الدوام هارموني».

«انطوني!» صاحت به بشهقة لجديته الصادقة:
«أنت لا تقترح - تقترح جدياً أن - آه، كلا، أنا لا
أصدق هذا».

«ألن توافقي؟» سألها وهو مندهش من ردة فعلها
هذه.

هزت رأسها بصلاية وقالت: «ماركو فيلوستو هو
آخر رجل بالعالم تفكر أية فتاة عاقلة بالزواج منه.
أنت بالتأكيد لا تعرفني تماماً بعد انطوني. إذا كنت
تفكر فعلاً بهذه الطريقة».

حذق بها للحظات طوال مبعداً النظارات عن

عيونه. طيف ابتسامة لاح على شفاهه وثقته الزائدة بما كان ينطق به أقلقتها.

«لكنني أعرف ماركو تماماً» قال: «وإذا كان يفكر بك كزوجة ثانية، فستقبلين به عاجلاً أم آجلاً، يا شقيقتي العزيزة! ماركو لا يتفوه بغير ما يدور بذهنه».

«لكن كان ذلك مجرد - مجرد مزحة! لم يكن جاداً، من غير الممكن أنه كان يتكلم بجدية أنطوني كان - كان فقط يرد لي ما اتهمته به كونه عازباً أبدياً».

ابتسم أنطوني بثقة وقال: «ماركو لا يمزح أيضاً، ليس بمواضيع حساسة مثل الزواج. انتبهي يا شقيقتي» ضحك وشد من قبضته على أكتافها وهو يعانقها بمرح: «لقد صوب ماركو عليك كزوجة - لن يكون لك من مهر».

«أنطوني هلا توقفت عن هذا!» قالت بحدة وابتعدت عنه: «أنا هنا منذ أسبوعين فقط وحتى ماركو نفسه لا يصمم رأيه على شيء بمثل هكذا وقت قصير».

ضحك مجدداً وعيونه تغيطانها وقال: «ألا تعرفين شيئاً عن سمعة شقيقي في الجزيرة هارموني؟ ألا تعرفين أن ولا أية امرأة تكون بأمان معه إذا ما قرر أن تكون هذه المرأة له؟».

«أنطوني!» حدقت به بوجنات ملتبهة: «لا أصدقك

ولا للحظة واحدة، لكن حتى لو صدقتك فسأؤكد لك أنه بعكس - مهما كان الوضع فلن أسمح لنفسني أن أقاد إلى المذبح كالشاة».

هز أنطوني رأسه وتابع الضحك ثم عاد إلى وضعيته السابقة ووضع يديه تحت رأسه وتمتم:

«سرى، لا يستطيع ماركو أن يقاوم أي تحدي».

وبجنون فكرت هارمونيكا أن هذه كانت كلمات ماركو نفسه بالذات انها تحدي يجد من الصعب عليه مقاومته. حدقت بالبحر أمامها وحاولت تهدئة شعور داخل قلبها كان يظهر لها دوماً عيون ماركو الساحرة أمامها. لربما لم يكن عليها المجيء إلى هذه الجزيرة من الأصل.

مر الوقت بسرعة هائلة وبسعادة مطلقة نظراً لأن أهل أنطوني قد قبلوها الآن كونها شقيقة ابنهم بالتبني، حتى السيدة فيلوستو نفسها أخذت تبتسم لها برقة بعد أن أدركت أنها لن تأخذ ابنها منها ويرحلا إلى موطنهما الأصلي.

لكن الوقت كان يمر وذهلت هارمونيكا حين أدركت أن زيارتها هذه قد طالت أكثر مما كان متوقعاً وأنها ستصبح ضيفاً ثقیلاً الظل اذا ما استمرت بالبقاء لأكثر من هذا.

ووجدت أن اطلاع أنطوني على هذا كان مصدر

قلق وانزعاج لها هي نفسها. لكنها استجمعت قوة إرادتها بعد العشاء مساء اليوم التالي وأخبرته بذلك. وكما توقعت ظهر الأسى على وجه انطوني وقال: «تغادرين بهذه السرعة هارموني؟ هل عليك العودة بسرعة هكذا؟».

«لكن يضي على اقامتي هنا ما يقارب الشهر انطوني واعتقد فعلاً أن الوقت قد حان لعودتي الى منزلي».

لم يكونا بمفردهما داخل الصالون الكبير. لكن كل كان مشغول بالتحدث مع الآخر ولم يكن من أحد متنبه لهما. نظر انطوني الى ساريا كأنه يطلب العون ثم عاد بعيونه الحزينة الى هارمونيكا.

«أتمنى لو تبقيين لفترة أطول من هذا هارموني».

«ألمت سعيدة هنا؟ ألا تعجبك بلادي؟».

نظرت اليه للحظة وأدركت أكثر من أي وقت مضى أنه يوناني مئة بالمئة وأن التشابه الوحيد بينهما هو بالعيون ولون الشعر.

«بالطبع لقد أحببت بلادك انطوني» أكدت له: «وأحببت عائلتك أيضاً، لكن هناك حدود، حتى للضيافة اليونانية».

«ساريا!» نادى على شقيقته الأخرى: «ساريا هلا ساعدتني لإقناع هارمونيكا بالبقاء لفترة بعد معنا؟».

لم تكن ساريا هي التي ردت بل ماركو الذي حدجها بنظرة ثابتة من مكانه على الكنبه المقابلة فارتعشت بعمق من داخلها ولم تستطع ابعاد نظرها عنه.

«ألمت سعيدة هنا هارمونيكا؟».

صوته زاد من عمق قشعريرتها وخفضت نظرها متممة: «أحب المكان هنا، لكني لا أستطيع البقاء الى الأبد ماركو».

«كلا؟».

كلمته كانت مليئة بالمعاني كما يبدو فرمت بسرعة نظرة سريعة نحو ساريا. عيون ساريا على كل حال أظهرت مجرد الاستفسار الرقيق فرطبت هارمونيكا شفاهها قليلاً وضحكت بارتعاش وهي تهز رأسها.

«حسناً، لن ترغبيون بي كزائرة دائمة، ماركو وأخشى أن بإمكانني التعود وبكل سهولة على هذه الشمس الرائعة وعلى نوع الحياة الكسول الرائع الذي سرت عليه منذ حوالي الشهر».

«هل مطلوب منك العودة الى منزلك لأي سبب محدد، هارمونيكا؟» سألت ساريا.

«ليس على الفور كلا، لكن...».

اوتوماتيكياً نظرت الى جهة ماركو وعلفت مجدداً بتلك النظرة السوداء فسارعت بإبعاد نظرها.

«هل لديك أي سبب محدد للعودة الى المنزل في الحال هارمونيكا؟».

جاهدت للتفكير بسبب مقنع ففيما يتعلق بعائلتها هناك هي تستطيع البقاء هنا قدر ما تريد. لكنها تذكرت تحذير انطوني المرح لها ذلك اليوم وارتعشت. حدثت بيديها وقالت:

«ليس لدي أي سبب خاص، كلا».

«ليس من شخص خاص...».

«كلا، لا أحد» أنكرت بسرعة وأدركت دون أن تنظر أنه يتسّم.

«اذن لم لا تبقي هنا؟».

لم تكن مستعدة لهكذا دعوة مباشرة منه ونظرت اليه للحظة. اقترب انطوني منها وأمسك بيديها معيداً اياها الى الأرض.

«هارمونيكا؟».

السيدة فيلوستو بنفسها تدخلت هنا وقالت: «هارمونيكا لربما لم تكن اقامتك هنا بالسعادة التي كنت تتوقعينها. يقع بعض اللوم بهذا علي أنا شخصياً. لكن الآن هذا أصبح من الماضي ألن تبقيين وتعطينا الفرصة للتكفير قليلاً عن السابق؟».

«آه، سيدة فيلوستو» قالت هارمونيكا ونظرت الى المرأة المسنة بامتنان.

فهذه الثقة تعني الكثير لها وقدّرت الجهد الذي يتطلبه أمر الاعتراف بالذنب لاستقبالهم البارد المتشكك لها.

«أحب البقاء هنا لفترة أطول قليلاً و... شكراً لك».

رمق ماركو والدته بابتسام وقال: «يبدو انك قادرة على الإقناع أكثر مني أُمي».

انفجر مارسيليو بالضحك وقال بإغظة: «هل تقول ذلك بنفسك ماركو؟ هذا شيء ليحفظ بالسجلات أليس كذلك ساريا؟».

هو بدوره نظر الى هارمونيكا وعيونه تضحكان.

تجاهلت ساريا التعليق على هذا وقالت: «بعد شهر من الآن سنسافر مارسيليو وأنا الى باريس لأسباب تتعلق بالعمل، فهلا مكثت حتى ذلك الحين؟ سنكون أكثر من مسرورين بأخذك معنا والاستمتاع برفقتك».

«هذه فكرة رائعة يا حبي» وافقها مارسيليو بصدق ثم ابتسم بغموض وقال: «وبهذه الأثناء لدينا ضيف آخر سيأتي قريباً جداً وقد يكون وجوده... مسلياً، أيه؟» نظر الى زوجته نظرة ذات معنى وتابع: «سام دانكن شاب جذاب جداً وأنا واثق أن هارمونيكا ستستمتع برفقته».

«مارسيليو!» عنفته ساريا برقة وهي تنظر باعتذار الى هارمونيكا. نظر مارسيليو الى جهة ماركو ثم تملل بانزعاج على كرسيه ولم يعلق بشيء.

انطوني بدوره قطب وشد على أصابعها قائلاً وهو يهز رأسه: «لكنك لا تحتاجين لهذا الأمريكي الجذاب أليس كذلك يا شقيقتي؟».

عيونه كانت على ماركو والمعنى كان أكثر من واضح مما زاد من ارتباك مارسيليو.

هارمونيكا وبالرغم من ارتباكها حاولت جهودها تجاهل كلا المحاولتين وابتسمت لساريا قائلة:

«لم أكن أعرف انكم تستضيفون أصدقاء من أمريكا ساريا. هذا هجوم أجنبي عليكم من الضيوف أليس كذلك؟».

«سام دانكن هو مجرد صديق بالعمل» أعلمها صوت ماركو العميق والهادئ وتابع: «لم أكن على علم انك ستحضره الى الجزيرة مارسيليو» ساريا هي التي أسرع لتجدة زوجها وقالت بنفس نبرته المتعالية الباردة: «لقد دعونا السيد دانكن الى منزلنا ماركو. لأنه صديق لنا لكنك لن تشاهده بالجوار إلا اذا رغبت بذلك».

«لا أنوي مشاهدته» أخبرها ماركو: «لا أتوقع ملاقة معارف العمل في منزلي - لم تكن هذه طريقتنا

أبداً باستقبال الغرباء على متن الجزيرة، ساريا، كما تعرفين تماماً. لكن ما دمت تقولين أن دانكن هذا هو صديق...».

«انه كذلك».

«فكما تريدن ساريا».

نطق شيء ما بلغتهم الخاصة مما جعل ساريا ترمش بذهول وحتى السيدة فيلوستو نظرت اليه بدهشة ثم رمقت هارمونيكا للحظة قبل أن تقطب وهي تعاود النظر الى ابنها البكر مع ان هارمونيكا أدركت أن التقطية هذه كانت فضولية أكثر منها غاضبة.

توتر ما سيطر على الجو ونهضت ساريا قائلة: «اعتقد انني تعب من الأفضل لنا الخلود للنوم الآن مارسيليو».

نهض مارسيليو وابتسم لها بحب.

«تصبحون على خير هارمونيكا، انطوني» قال مارسيليو مودعاً وذهب مع زوجته لتقبيل السيدة فيلوستو. ورأت هارمونيكا النظرة التي تبادلتها ساريا مع والدتها قبل أن تقول: «تصبحون على خير».

هارمونيكا نفسها كانت تشعر بالتعب ونظرت الى انطوني قائلة بابتسام: «اعتقد أن علي المغادرة أنا بدوري. أنا أشعر بالتعب أيضاً».

نهضت من كرسيتها وهي تدرك أن ماركو كان يراقبها.

«تصبحين على خير، هارموني!» قال لها أنطوني بحب وقبلها وقال وعيونه تفتشان وجهها: «ستبقين هنا كما اقترحت ساريا إلى أن تسافر ومارسيليو إلى باريس؟»
«أحب ذلك».

قبلها مجدداً وابتسم: «أذن لتبق يا شقيقتي الحبيبة».

حلتها السيدة فيلوستو على البقاء بدورها أيضاً وبقي ماركو فقط فنظرت إليه غريزياً ولاح شبح ابتسامة على وجهه الساحر وقال: «هل ترغبين بأن أحاول إقناعك بذلك أنا بدوري، هارمونيكا؟».

نظرت إليه بعيونها الخضراء الواسعة وقالت بصوت مبحوح: «لا تفعل إلا - إلا إذا كنت تعني ذلك حقاً ماركو».

لم تنتظر لسماع رده بل ابتسمت لوالدته وقالت: «تصبحين على خير سيدتي».

غادرت الغرفة الصامتة وصعدت إلى غرفتها لتستعد للخلود للنوم.

كانت تسرح شعرها قبل النوم كعادتها حين انتهت أن سوارها الذهبي غير موجود بمعصمها. لا شك أنه

قد انسل منها كما فعل مؤخراً قبل يومين، هذا السوار العزيز على قلبها والذي كان هدية أشقائها لها بعيد ميلادها العشرين. وهي لا ترغب بإضاعة هكذا هدية. لكنهم لا يزالون في الأسفل، هو بالذات لا يزال بالأسفل والأفضل لها الانتظار للغد قبل النزول والتفتيش عن الإسورة.

لكن توتر ما منعها من النوم وسمعت أصواتهم قرب غرفتها بطريقهم إلى غرف نومهم الخاصة. لم تكن واثقة أن كانت قد سمعت صوت بابين أم ثلاثة أبواب تقفل لكنها صممت على النزول والتفتيش عن السوار. فتحت الباب بصمت وانسلت إلى الخارج بأقدام عارية حتى لا تصدر أي ازعاج. أخذت تنظر إلى أرض الرواق إلى أن وصلت إلى السلالم دون أن تجد شيئاً. كانت على وشك أن ترفع نظرها وظهرها حين أمسك أحدهم بها. فرفعت نظرها بسرعة وهي تشهق بذهول.

«تبحثين عن هذا؟» قال وهو يحرك السوار أمامها. كان يتكئ على حافة السلالم بالظلام وجسده الفارع منحني بحركة رياضية على الحافة.

ابتلعت ريقها وطأطأت برأسها موافقة فيم هي تمد يدها للإمساك بالسوار إلا أنه أبعدته قبل أن تصل أصابعها إليه.

نظرت اليه وقلبها ينتفض بجنون داخل أضلاعها ويدها لا تزال ممدودة نحوه.
«انه لي ماركو، لا شك انني أسقطته أثناء العشاء.
أرجوك هلا أعطيتني إياه؟»
«بالطبع».

رفعت نظرها اليه بحيرة لكنه لم يتحرك وظل يحديق بها بغموض وتحدي. رفعت يدها الى حنجرتها وهمست: «ماركو...»
«لست معتاداً على التجاهل هارمونيكا، ليس من أي شخص».

«أنا - أنا آسفة ماركو، لم أقصد أن أكون عديمة اللياقة معك لكن...» تمتعت دون أن تفهم ما الذي يقصده بالضبط.

ظل صامتاً للحظة ثم اقترب ووضع السوار داخل راحتها وأغلق أصابعها عليه وقال:
«تصبحين على خير هارمونيكا» همس واتجه بعيداً نحو غرفته.

قابلت هارمونيكا الزائر سام دانكن صباح يوم الأحد التالي حين كانت تزور ساريا لمشاركتها قهوة الصباح كما صار معتاداً حين رأت الضيف.
«هارمونيكا!» صاح مارسيليو فور رؤيتها له بمرحه واندفاعه: «تعالى وقابلي ضيفنا من أمريكا» شد على

أصابعها برسالة مفهومة وتابع: «هذا هو سام دانكن من أمريكا - سام، صديقي، هذه الفتاة الرائعة الجمال هي الشقيقة التوأم لحبيبتنا انطوني - الأنسة هارمونيكا برنستا».

ابتسمت هارمونيكا لطريقته الطنانة بالتعريف وصافحت الشاب الشديد الجاذبية بعيونه الزرقاء الداكنة وشعره الأشقر الفاتح. وأدركت انه قد استحسنها لأن الاعجاب برق داخل عيونه وهو ينظر اليها بثوبها الأبيض البحري الطويل، انه جذاب أجل لكنه لا يتمتع بسحر وتأثير ماركو فيلوستو.

«من أين أنت من فرنسا آنسة برنستا؟» سألها معيداً إياها الى الواقع.

«من دورين في شمال باريس».
ابتسم سام قائلاً: «لقد اكتسبت سمرة رائعة منذ وصولك الى اليونان - وهذا يلائمك تماماً».
«هذا صحيح» قالت وعيونها تشرق بحماس: «انه مكان رائع - وأنا أعشقه».

«ليس لدرجة التفكير بهجران بلدتك الأم على ما أمل؟» قال سام.

انتبهت هارمونيكا للنظرة الخاصة التي رمى بها مارسيليو زوجته ومنعت نفسها من التفطيط. على كل حال أنقذها وصول بوندو من الرد على السؤال الذي

كان مارسيليو كما يبدو متلهفاً لمعرفة رده. كان بوندو يرتدي بزة سوبرمان التي أحضرها له سام دون شك من أمريكا.

«هل ندعوك الآن سوبرمان وليس بوندو؟» قالت بمرح.

«بلى يا حبيبي».

قرب سام الفتى منه وقال له شيئاً ما باليونانية فابتسم الفتى برضى.

«أنت تتكلم اليونانية سيد سام؟» سأله هارمونيكاً.

«قليلاً، وكنت أخبر بوندو عن سوبرمان، في الواقع أقابل الكثير من الناس الأجانب بعلمي وأجد معرفتي البسيطة بلغتهم أمراً محبباً لديهم».

«أنت متواضع جداً سام» سارع مارسيليو للقول وهو يهز رأسه: «يونانيته جيدة جداً هارمونيكاً. جيدة لدرجة أننا نستطيع محادثته بلغتنا الأم! هل هذا مجرد معرفة سطحية؟».

«بينما أنا لا أفقه كلمة واحدة من لغتكم رغم مرور شهر على بقائي هنا» اعترفت هارمونيكاً: «الجميع هنا يعرف الفرنسية والانكليزية وأنا لا أقوم بأي جهد لتعلم اللغة».

«لكنك تعرفين كلمتين أو ثلاث هارمونيكاً» قالت ساريا برقة.

ابتسمت لها هارمونيكاً وقالت: «كلمة أو اثنتان. الأشياء البسيطة مثل صباح الخير وتصبحون على خير. لكنك لا تستطيعين التحدث معي بلغتك الأم. ساريا، أليس كذلك؟».

«من غير المتوقع منك تعلم اللغة بفترة قصيرة كهذه أنسة برنستا قضيت سنتين بتعلم اللغة ولهذا فتعلمك للقليل بفترة شهر أمر طبيعي».

ابتسم سام لها بتشجيع ومجدداً انتبهت هارمونيكاً للنظرة التي حدج بها مارسيليو زوجته.

«ستساعد بتحسين مستوى المبتدئين باللغة يا صديقي، أليس كذلك؟» سأل مارسيليو بابتسام.

ابتسم سام وقال: «سأسر بتقديم كل ما بوسعي، لكن بوجود توأم يوناني لها لا أظن أن خدماتي كأستاذ ستكون مطلوبة».

وكان ذكر انطوني قد أتى به فقد نهض مارسيليو فجأة للترحيب بأنطوني.

«أهلاً، أنطوني».

صافح أنطوني الزائر الذي يعرفه مسبقاً وجلس على حافة كرسي هارمونيكاً واضعاً ذراعه حول أكتافها.

«الشبه بينكما بالغ الوضوح أنطوني».

استغربت هارمونيكاً مخاطبة سام لشقيقها بهذه

الرسمية لكن انطوني نفسه كان يتصرف ببرود رسمي ووجدت أنه يشبه كثيراً شقيقه الغير أخ ماركو.

نظر مارسيليو الى انطوني وسأل: «انت هنا للترحيب بضيفنا انطوني؟».

اشتدت ذراع انطوني حول أكتافها وابتسم لها متجاهلاً دعوة مارسيليو وقال:

«أنا هنا لأذكر هارمونيكا بموعد ذهابنا الى السباحة سوية هذا الصباح هل أنت جاهزة للإنطلاق يا شقيقتي؟».

لم يكونا قد تواعدا على السباحة معاً لكن طأطأت هارمونيكا برأسها ونهضت على قدميها قائلة:

«أنا جاهزة انطوني» ابتسمت لسام وتابعت: «أنا آسفة لمغادرتي السريعة الآن سيد دانكن، لكن قد أراك مجدداً قبل سفرك».

طأطأ برأسه مصافحاً يدها وتاركاً إياها بين يديه للحظات إضافية فيم ذراع انطوني لا تزال حولها.

«آمل هذا آنسة برنستا، سأبقى هنا لمدة أسبوعين تقريباً ولهذا فمن المؤكد اننا سنلتقي مجدداً».

رأت التقطعية المفاجئة على جبين انطوني وكأن طول فترة بقاء الزائر كانت أكثر مما يتوقع فقد خاطب مارسيليو باليونانية بهدوء وبسرعة.

لم تسنح الفرصة لمارسيليو بالإجابة فقد فعل سام

دانكن ذلك قائلاً: «آمل ألا يعارض شقيقك ببقائي هنا لمدة أسبوعين مع أصدقائي انطوني. أعرف القليل من اليونانية. كنت أظنك تعرف ذلك».

تراخت ذراع انطوني من حولها وشعرت بتصلبه. نظر مباشرة الى سام دانكن برأس شامخة متكبرة جعلتها تشعر بالفخر وهي تنظر اليه.

«اعتذر اذا كنت قد أهنتك سيد دانكن - لقد نسيت أنك تتكلم لغتنا» قال وهو يحني رأسه قليلاً.

«لا أشعر بالإهانة» قال سام بابتسام: «لكن أرجوك أكد لشقيقك انني هنا ضيف لدى صديقي العزيز مارسيليو لا كرجل أعمال. ولا نية لدي بالطبع باقتحام خلوته».

مجدداً أحنى انطونيو رأسه باعتداد قليلاً وقال: «أنا واثق انه مرحب بك هنا كصديق لساريا ومارسيليو، دانكن» انحناءة أخرى ثم تابع موجهاً الحديث الى شقيقته: «لن نراكما على الغداء اذن ساريا ومارسيليو اليوم؟».

طأطأت ساريا برأسها دون أن تعلق وهز انطوني كتفيه وعاد الى هارمونيكا.

«هل ننطلق الآن الى السباحة هارمونيكا؟».

«أجل» قالت وهي تشعر بالحيرة لتصرف انطوني هذا مع الرجل الغريب.

نزلت من غرفتها بعد أن ارتدت ثياب السباحة وقالت لشقيقها.

«أنا لم أواعدك على الذهاب للسباحة هذا الصباح أليس كذلك؟»

«كلا» وافقها بسرعة وعيونه تضحك لها: «لكن اليوم هو الأحد والجو رائع ومناسب للسباحة - وقد وافقت على الفكرة بسعادة أليس كذلك؟ أنت لم تنكري أن لا موعداً لدينا».

«فقط لأنني لم أرغب بإظهارك بثوب الكاذب» قالت: «ما الأمر انطوني؟ أليس لديك شيء ما ضد السيد دانكن؟»

هز كتفيه وقال: «فقط انه - يقف بالطريق».

«يقف بالطريق؟»

تقصد تجاهل سؤالها وسألها: «ألا ترغبين بالذهاب الى السباحة؟»

«أجل بالطبع أرغب بالسباحة لكنني لا أتوقع منك المجيء خلفي وكأنني شاة ضائعة. لماذا كان المهم لك إبعادي من هناك؟ السبب ليس ماركو بالطبع وعدم رغبته بمصاحبتنا للضيف الأمريكي الغير مرحب به؟»

«لم يكن ماركو يعرف انك هناك وإلا لذهب وأحضر بك بنفسه» قال بخفة وحدثت هي به.

«أظن انك تسمح لمخيلتك بأخذك بعيداً» قالت وهما يتجهان نحو الشاطئ: «ماركو لن يزجج رأسه بالتفكير بالمكان الذي أتواجد أنا به، وهو بالطبع لن يمانع بزيارتي لساريا، افعل هذا منذ أسابيع ولم يعلق أحد بشيء على ذلك».

«لكن لم يكن السيد دانكن الجذاب موجود هناك حينها».

«آه، انطوني بحق السماء! يبدو أن كل شخص على هذه الجزيرة مشغول بتزويج الآخرين» احتجت: «يبدو أن مارسيليو مصر على ايقاعي بحب صديقه الجذاب، أنت مصمم بدورك على تزويجي من ماركو وماركو - حسناً، السماء وحدها تعرف ما الذي يدور بذهنه عني، لكنه أكد لي أنه سيكون من السهل جداً إيجاد زوج لي! ألا تفكرون هنا بشيء إلا بترتيب أمور الزواج؟»

أمسك بيدها وابتسم لها بحب قائلاً: «هل من السيء جداً لنا أن نرغب برؤية من نحب متزوجين بسعادة من شركاء حياة مناسبين؟ نأمل أن يحظى كل شخص بالحب وبالسعادة يا شقيقتي، أين السؤ بذلك؟»

«ليس سؤاً لا، جميل أن تكون مهتماً لهذه الدرجة لكن...»

توقفت فجأة لأنهما خرجا من غابة الأشجار الى
رمال الشاطئ وشاهدت الشخص الذي يتجه نحو
المياه قربهما.

«انطوني!» هتفت وهي تستدير للرجوع فهي لا
ترغب بالتأكيد بالسباحة قرب ماركو.

لكن شقيقها أمسك بيدها وجرها الى الشاطئ
كالشاة التي تساق الى المذبح.

استدار ماركو حين سمع صوتهما وعكست نظره
دهشته لرؤيتها وقال مخاطباً شقيقه.

«انطوني ألم يكن من المفترض بك السفر الى أثينا
قبل هذا الوقت؟» استدارت هارمونيكاً بسرعة الى
شقيقها وفهمت وهي تنظر الى عيون شقيقها الضاحكة
المتسلية.

«لقد خدعتني» اتهمته محاولة ابقاء صوتها منخفضاً
حتى لا يسمعها ماركو البعيد قليلاً: «لا رغبة لديك
بالسباحة معي أليس كذلك انطوني؟» شعرت وكأنها
محتجزة بين الرجلين: «آه، أنت لا يوقفك شيء»
انطوني؟»

«لكنك ترغيبين بالسباحة هارموني» وأشار الى
المياه الرائعة قربهما حيث ماركو يقف: «سيستمع
ماركو برفقتك وأنا واثق انك ستستمعين برفقته أكثر
من ذاك الرجل الأجنبي».

«أنت أجنبي بدورك» ذكرته بياس لكنه انفجر
بالضحك وداعب خدها الملتهب للحظات.

«كلا، يا شقيقتي، أنا يوناني».

«وأنت لا تمنع بتقديمي للزوج الذي تريد سواء
أوافق على ذلك أم لا أليس كذلك؟»

«آه هارموني وهل من الممكن أن أكون بهذه
القسوة؟» انحنى مقبلاً وجنتيها وقال: «يجب أن
أتركك يا شقيقتي الحبيبة الآن لأذهب وأزور
خطيبتي».

«وستركني هنا مع ماركو؟»

نظر الى شقيقه بحاجب مرتفع وضحك قائلاً:
«هناك مصائر أسوأ من هذا بكثير يا شقيقتي...»
استمتعي بسباحتك».

ضحكته استهزأت بتردها وهي تقف مراقبة اياه
يبعد الى أن اختفى خلف الأشجار.

الشمس كانت براقعة، المياه رائعة ومغرية.
استدارت أخيراً ونظرت اليه لكن العيون السوداء لم
تبسم لها ولم يقطب بل ظل ينتظر بصبر الخطوة التي
ستقوم بها.

«هل ستأتين هارمونيكاً؟»

ترددت للحظة. هي كانت قادرة تماماً على
الاهتمام بنفسها حتى مع رجل مثل ماركو فيلومستو

ودون أن تشعر طأطأت برأسها موافقة.

«أتجيدين السباحة؟»

بعد شهر هنا ولا يزال لا يعرف هذه المعلومة الصغيرة عنها. فهي لم يسبق لها أن سبحت بوجوده أو برفقته بل كانت تفعل ذلك مع انطوني، أو مع ساريا ومارسيليو.

«ليس ببراعة مطلقة...» قالت: «انطوني كان يتركني دوماً خلفه - انه جيد جداً بالسباحة».

طأطأة صغيرة من رأسه وافقتها على ما تقول وتساءلت عن مدى براعته هو شخصياً. حين مد يده نحوها وضعت يدها داخل راحته سامحة له بجرحها أكثر الى المياه التي غطت نصفها الآن. بصمت انزلقا تحت المياه وأخذاً يسبحان داخل المياه اللازوردية وكان ماركو ينظر اليها كلما أدار رأسه نحوها وذراعيه تشقان المياه ببراعة ومهارة. شعرت هارمونيكا بعد وقت قليل انها لا تستطيع مجاراته وشعرت بخفة هائلة داخل قلبها.

«انت على ما يرام هارمونيكا؟» سألتها وعيونه تنقلص.

ابتسمت لتطمأنه وقالت وهي تبعد شعرها عن وجهها: «أنا بخير، لكنني لا أستطيع مجاراتك بالسباحة! أشعر بالتعب، تابع أنت ماركو سأسبح أنا

عائدة الى الشاطئ».

«ستنتظرين؟»

لم يكن سؤال متوقفاً وانتظرت للمحظات قبل أن تقول: «سأنتظر» وعدته وغطست مجدداً متجهة نحو الشاطئ ووجهها متورد.

كل ما رآته منه حين وصلت الى الرمال كان نقطة صغيرة بأعماق المياه. ظلت عيونها مركزة عليه طوال الوقت حتى لو لم تكن قد وعدته فهي دون شك كانت ستبقى هنا. الاغراء كان هنا وبقوة ولم يكن من الممكن المقاومة. لم يكن متأكداً من انتظارها وقد أسعدها هذا. كما هي تشعر بالسعادة الآن وهي تحتضن ركبتيها وتنظر اليه وهو يقترب.

لم تكن قد وضعت نظاراتها الشمسية بعد وحين اقترب اضطرت لتقليص عيونها لتفادي انعكاس الشمس.

«من الأفضل أن تضعي نظاراتك الشمسية وإلا فإنك ستؤذين عيونك الساحرة هذه».

تناول النظارات عن الأرض لكن قبل أن يناولها اياها انزلقت من بين يديه اللزجة. فسارع الاثنان بنفس اللحظة لالتقاطها لكن هارمونيكا كانت الأقرب فأمسكت بها بأصابعها وأمسكت أصابعه بيدها. بريق ما كان داخل عيونه ونبض دمائها كان يتسارع بجنون

داخلها، لحظات وكان قريبا.

«هارمونيكاً...».

تمتم وتابع النطق باليونانية كلمات لم تفقه منها شيئاً لكنها كانت لذيدة الوقع على مسمعها. هزت رأسها لتبعد شعرها عن وجهها فنهض هو وأمسك بيديها منهضاً إياها عن الرمال وعيونه السوداء المخترقة تراقبانها.

قلبها كان يوشك على الانفجار وتهيء لها انها تسمع صوت ضرباته بأذنيها. رفعت نظرها اليه بحثاً عن الحقيقة في وجهه.

«هل - هل كنت تعرف أن انطوني كان سيحضرني الى هنا ماركو؟».

ارتعاش صوتها وبخته أشعراها بالخيبة.

حافظ على صمته للحظات قبل أن تلمح شبح ابتسامة على وجهه وهو يقول.

«لا أشعر بالإطراء لهذا، انك تعتقدين انني بحاجة لشقيقي كي - كي يحضر لي النساء».

«آه كلا ماركو. لم أفكر ب...».

كلماته أدهشتها لكنه تابع متجاهلاً مقاطعتها: «سبب احضار انطوني لك الى هنا في حين انه لا يستطيع البقاء معك أمر عليّ تخمينه، لكنك دون شك ستثيرين الأمر معه فور عودته من البر».

«آه، أعرف سبب احضاره لي الى هنا».

«أذن أرغب بأن تثيريني بهذا الشأن هارمونيكاً بما انك كما يبدو تحظين بثقته وقد أتيت معه عن طيب خاطر».

«آه لكنك لا تفهم الموضوع مطلقاً» قالت بسرعة مخافة أن يعتقد انها توافق شقيقها على ما ينويه: «أنا - أنا لم أكن أعرف انه لن يبقى معي، هو لم يقل لي ذلك».

حذق بها وكان من الصعب عليها التفكير بوضوح وهو أمامها هكذا كالبرج الشاهق وبعيونه الصقرية هذه.

«ما دمت لم تكوني تعرفين عن نيته بإحضارك الى هنا ثم الرحيل فكيف تقولين انك تعرفين ما الذي ينويه؟».

شعرت بالعجز والارتباك فنهضت. من غير الممكن لها الوقوف هكذا أمامه والتفكير بوضوح. تحركت خطوات الى الامام نحو المياه وقلصت عيونها بسبب ضوء الشمس الباهر. «هارمونيكاً؟».

رفعت أكتافها وفتشت عن الكلمات المناسبة لشرح ما يريد انطونيو أن يحصل بينها وبين شقيقه البكر هذا.

«انطونيو - انطونيو مكون بالفكرة السخيفة والتي تقول بإمكانية - أن يقوم...» لا فائدة لن تتمكن من النطق بهذا.

عضت على شفتها باضطراب حين سمعته يقترب خلفها، وضع يديه على ذراعيها للحظة قبل أن يديرها لتواجهه. رفع بإحدى يديها ذقنها بلطف وقال:

«انطوني كما تقولين يحاول قلب الأدوار أليس هذا ما تقصدينه هارمونيكاً؟ يرغب برؤيتي أتزوج مجدداً ويرغب بأن تكوني أنت عروسي، هل هذه هي خطته؟»

مجدداً صراحتة أذهلتها وتفجر اللون على خديها وحاولت الابتعاد عن يده التي تمسك بذقنها.

«قلت - قلت لك انها فكرة سخيفة» ذكرته بنفس لاهث. لكنه ظل صامتاً للحظات وعيونه تدرسان وجهها المتورد.

«هل تجدين الفكرة سخيفة جداً هارمونيكاً؟»

ودون أن يعطيها الفرصة للرد سار بها الى الاشجار ثم الى القيللا.

لم يعطها فكرة عن رأيه الخاص بخطة انطونيو هذه، لكن ما فهمته انه لا يجد الفكرة غير معقولة تماماً ولكن هذا لا يعني أيضاً انه يتقبلها.

ولهذا وتحاشياً لأي فرصة أخرى كالتى مرت معه،

تحاشت هارمونيكاً الانفراد معه طوال الاسبوع التالي فهو يجعلها تشعر بالخجل وبالاضطراب أكثر من أي رجل آخر قابلته بحياتها.

هذا لم يكن صعباً على كل حال فقد كانت هارمونيكاً تقضي الوقت مع انطوني حين يكون غير مشغول بالعمل أو مع سام دانكن الذي خرجت برفقته عدة مرات للسباحة ولزيارة أثينا. رفقته كانت محبة ومسلية لكن بدون إثارة ولطالما وجدت هارمونيكاً نفسها تقارن بين سام وبين ماركو المليء بالغموض والحيوية. انطوني بالطبع كان يعارض رؤيتها لسام لكنها كانت تضحك وتخبره انها حرة باختيار أصدقاءها.

كانت مستقلة مع ساريا الآن على الشاطئ وبوندو يلعب بالرمال فيم الرجلين مارسيليو وسام في أثينا ينهيان بعض الأعمال.

«أنت تستمتعين بإقامتك معنا أليس كذلك هارمونيكاً؟»

«آه أجل بالتأكيد خاصة بعد أن اقتنعت جميعاً انني شقيقة انطوني فعلاً وانني لن أخذه بعيداً. حتى ماروشكا ذاتها صارت متجاوبة أكثر معي - لكن لا أعرف - أنا أجدها - أجدها...»

«تجدين أن ماروشكا ليست العروس السعيدة

المليئة بالحيوية التي تتمنيها لشقيقك؟ أجل، هذا هو شعوري أنا أيضاً لكنها فتاة رقيقة، هارمونيكا وأرغب فعلاً لو أن انطوني يظهر لها القليل من الحب».

«لربما المانع أنه قد أجبر على خطبتها» اقترحت هارمونيكا.

«كلا، أنت على خطأ» ردت ساريا فوراً وبصراحة: «لأنه كان يحب ماروشكا بعمق الى ان...» صمتت قليلاً ثم تابعت: «انت تعرفين بشأن الفتاة الفرنسية؟».

«أجل، لقد أخبرني انطونيو ذلك ساريا. لكن هل - هل تعتقدين انه قد تغلب على حبه لها فعلاً؟».

فكرت ساريا للحظات وقلب هارمونيكا ينتفض بقوة، ماذا لو أن انطونيو لا يزال على حب تلك الفتاة بينما هو سيتزوج فتاة أخرى. تردد ساريا بالإجابة كان يزيد من تسارع نبضات قلبها.

«أظن الأمر قد انتهى كلياً بينهما» قالت ساريا أخيراً: «لكنها - كانت مختلفة تماماً عن ماروشكا. كانت شقراء و - وبالغة المرح والحيوية، مثل انطونيو نفسه. اعتقد انه يفتقد لهذا البريق - عند ماروشكا».

«هل كنت تعرفينها ساريا» سألتها متذكراً أن انطونيو أخبرها أن أحداً من العائلة لم يراها.

«لم أكن أعرفها، لكنني كنت من صارحه انطونيو

بالحقيقة - كان يخبرني كل شيء عن الفتاة وعن طبيعة شعوره نحوها - لقد سعى لأخذ نصيحتي بهذا الشأن».

«وهل أنت من أقنعه بتركها ساريا؟».

«لم يكن من الممكن أن أتحمّل هكذا مسؤولية بمفردي ولهذا فقد تكلمت مع مارسيليو ونصحتني هو بترك الأمر لماركو - وهذا ما فعلته بالفعل».

«أذن ماركو هو الذي وضع قدمه داخل علاقة الحب هذه دون أي اعتبار لمشاعر انطوني».

«آه لا، هارمونيكا» سارعت ساريا للدفاع عن شقيقها: «ليس هذا ما حدث».

«آسفة لم يكن عليّ انتقاد ماركو بهذه الطريقة، أليس كذلك؟».

«لو كنت تعرفين ماركو بشكل أكبر هارمونيكا فستعرفين انه رجل حكيم وقوي بنفس الوقت. هذا - هذا الشعور الذي كان انطوني يكنه للفتاة الفرنسية لم يكن أكثر من مجرد ولع أنني وكان ليندم على تركه لماروشكا التي يحب فعلاً. كان على ماركو أن يتصرف بصرامة حتى يمنع انطوني من اتخاذ خطوة كانت ستدفعه للانسلاخ عنا وتحطيم قلب والدتنا».

«ألا تعتقدين أن هذا قد حطم قلب انطوني؟».

«آه، هارمونيكا، هل يبدو انطوني لك وكأنه شاب

بقلب محطم؟».

«لا أظن ذلك - لكنني بلا خبرة بهذا المجال على كل حال».

«هو وماروشكا متلاثمان ومناسبان بأكثر من طريقة وأنا واثقة انهما سيكونان سعيدان بزواجهما» صمتت قليلاً ثم تابعت: «على فكرة هل تعرفين أن حفل زفافهما بعد أسبوعين، أي أنك ستكونين هنا أثناء الزواج وستعرفين انطوني الزوج قبل سفرك؟».

ذهلت هارمونيكاً فكما تذكر أخبرها انطوني أن الزواج سيتم في السنة القادمة وليس الآن.

«يبدو - يبدو هذا - سريعاً».

«لقد أجلنا أعمالنا في فرنسا لمدة أسبوع حتى نكون جميعاً هنا أثناء حفل الزفاف» تابعت ساريا بحماس: «أنت تريدان دون شك برؤية انطوني متزوجاً أليس كذلك؟».

«آه، أجل - أجل، بالطبع».

لو أن بإمكانها فقط التأكد من أن انطوني سيكون سعيداً بتسريعهم لأمر الزواج هذا أم لا. انه يسير بما هو مخطط له بكل صمت. ومهما كان مدى ارتباطه بهم الا انه لا يزال شقيقها التوأم ولن تسمح لهم بدفعه للقيام بشيء لا يريده.

استيقظت صباح اليوم التالي على صوت طائرة آل

فيلوستو الخاصة وهي تقلع حاملة انطوني وماركو كالعادة الى أثينا مركز العمل الرئيسي لشركات العائلة وأعمالها.

تناولت فطورها بتلذذ وقررت المرور على السيدة فيلوستو في غرفة المكتب للتحدث معها قليلاً قبل ذهابها الى فيللا ساريا ومارسيليو. فتحت باب المكتب وتفاجأت كلياً حين وجدت ماركو نفسه داخل المكان. كان يتكىء على حافة الشباك الضخم وييده رسالة ما يقرأها، رفع نظره اليها حين دخلت وجمدت هي من المفاجأة ولم يعد بإمكانها التراجع. كان يتشم بشكل خاص وكأنه يقول لها انه عالم تماماً بمحاولاتها لتتخاشيه تماماً طوال الاسبوع السابق.

«صباح الخير، هارمونيكاً».

«صباح الخير، ماركو» تمتمت وهي تتساءل ما الذي عليها أن تفعله الآن لكن يده الكبيرة أشارت لها بالدخول فوجدت نفسها تطيع.

«ادخلي» دعاها وعيونه تضحكان: «أعدك انني لن أعضك» توردت وجتها بشدة لإدراكها لما يقصده وقالت: «توقع أن أجد السيدة فيلوستو هنا».

«أمسي مشغولة في مكتبها - عندها الكثير من الكتابة».

«لإرسال الدعوات لحفل زفاف انطونيو؟» قالت

بسرعة وحدة فرفع نظره اليها فوراً: «لقد علمت ذلك من ساريا - هل يعرف انطونيو انه سيتزوج بعد ثلاثة أسابيع من الآن؟».

«بالطبع يعرف أيتها الطفلة الساذجة - أي نوع من الناس تعتقديننا؟».

«أحياناً أتساءل» قالت دون تفكير وتابعت: «لم أنت مستعجل هكذا ماركو؟ أنت لا تزال تعتقد فعلاً انني أشكل خطراً على مخططاتك أليس كذلك؟».

برقت عيونه بقوة لكنه حافظ على هدوء صوته وهو يقول: «لم تكوني أبداً مصدر خطر لأي من مشاريعي وخططي هارمونيكا. أردتك أن تأتي الى هنا هذا صحيح، حتى أتمكن من الحكم عليك بنفسي. لكن بعد أن رأيتك عرفت انك لست حبيبته السابقة وهكذا فقد صرفت النظر كلياً عن كونك مصدر خطر لزواجه من ماروشكا».

كانت ترتجف من الغضب دون أن تدري لذلك سبباً واضحاً ووجدت نفسها تقول له:

«ما دام هذا صحيحاً فلماذا عاملته وكأنه سجين لديك حين حاول اصطحابي الى الشاطئ في المرة الأولى؟ وحين أراد المجيء الى فرنسا لرؤيتي منعه من ذلك - أنت دائماً تحكم الطوق حول رقبتك أليس كذلك ماركو؟ تعامله وكأنه لا يملك عقلاً وشخصية

خاصة به، بينما هو يتحلى بكل العقل وبكل الشخصية! انه فرنسي الأصل و...».

«يكفي هذا» قاطعها صوته الحاد والمرتفع بغضب لم يعد قادراً على كبته: «تتكلمين دون أن تعرفي ما الذي تقولينه - تعطين رأيك بشيء لا تفقهين شيئاً بشأنه».

تحرك من مكانه كالفهد ووقف أمام النافذة وازداد اضطرابها لرؤيته بهذا المزاج. حين تكلم يلتفت وظل ظهره لها مما زاد من انزعاجها.

«تعتقدين انه ما دام انطونيو لم يخبرك بموعد زواجه بنفسه فإن الموعد قد تقرر دون معرفته أو دون موافقته؟».

«أنا - أنا واثقة انه كان ليخبرني بذلك لو كان يعرف».

«وهل رأيت انطونيو هذا الصباح؟».

«كلا - كلا، أنا نادراً ما أراه في أيام العمل، فأنا أتناول الفطور بساعة متأخرة».

طأطأ رأسه وقال: «وعدت ليلة البارحة من نزهتك برفقة سام دانكن وصعدت مباشرة الى غرفة نومك، ألم تفعلني؟».

«كان - كان الوقت متأخراً حين عدنا وكنتم جميعاً في غرفة الصالون تتحدثون. بدوتم - بدوتم مستغرقين

بمناقشة أمر ما ولم أرغب بأن أكون...».

استدار أخيراً بسرعة وتركزت عيونه الصقرية عليها: «بالضبط» قال بصوت بارد وهادئ.

أخفضت هارمونيك عيونها على الفور. قلبها كان ينتفض بقوة هائلة ومدت يديها بتعبير يائس: «لم - لم أكن أعرف ماركو».

ظل صامتاً للحظات وعيونه تدرسان وجهها بعمق ثم هز رأسه ببطء قائلاً: «كم مرة رددت هذه الجملة أمامي هارمونيك! لم أكن أعرف؟».

رفعت نظرها إليه: «أنا - أنا آسفة ماركو. أعرف - أعرف انه قد سبق لي وقلت هذا أمامك من قبل لكن...» هزت أكتافها بتعبير وتابعت: «يبدو انني دوماً أنفوه وأنصرف بشكل خاطيء معك أنت بالذات، لا أعرف لماذا يحدث هذا لي معك». «وتعتقدين أن اللوم يقع عليّ أنا بهذا؟» سألها بخفة.

«آه، كلا، بالطبع لا! الأمر فقط انه...».

لم تكن قد لاحظت حتى الآن انه قد تحرك من مكانه وأنه قد أصبح أمامها مباشرة. صمتت وعيونها مدفونة بوجهه فأمسك بأصابعه ذقنها ورفع وجهها إليه وظل كذلك للحظات قبل أن يتفوه بالكلمات. «فكرت بإسعادك بتقديمي الاقتراح لانطونيو

بتقريب موعد زواجه حتى تتمكنين من حضور حفل الزفاف هارمونيك. لكن يبدو لسوء الحظ انني بدوري أنصرف بشكل خاطيء معك ايه؟».

«آه لا» قالت وعيونها ت برق: «أنت - أنت اقترحت تقديم موعد الزفاف من - من أجلي أنا؟».

ابتسامة صغيرة ظهرت على وجهه وارتفع حاجبه: «ليس كلياً من أجلك انت، مع أن رؤيتك لانطونيو وهو عريس كان أول اهتماماتي. لكنني لا أعتقد انك ستجدين انطونيو أقل رغبة مني بتسريع موعد زفافه من ماروشكا».

لسبب ما شعرت بشكوكها حول هذا الموضوع تتقلص وشعرت بصدق كلماته وكأنه شعر بما بداخلها فقد سأل:

«هل تشكين بذلك هارمونيك؟».

«كنت كذلك لكن...» رفعت أصابعها الى عنقها فأمسك بيديه يدها ووضعها على صدره وعيونه على وجهها المتورد وعيونها البراقة.

«لكن؟» حثها برقة.

«يجب - يجب أن أصدقك» اعترفت: «تبدو واثقاً تماماً ماركو».

«أنا واثق تماماً فعلاً هارمونيك».

الجو الحميم كان يرفرف حولهما وقلبها كطائر

ملهوف يرتعش بداخلها. مهما حاولت تحاشي انفرادها به إلا أن القدر كما يبدو يعارض ذلك. لحظات كانت كالأبدية وهي تنتظر...
«آنسة هارمونيكا، آنسة هارمونيكا».

استدار ماركو نظرة براقه داخل عيونه ليشاهد بوندو يخترق باب المكتب ثم يتوقف بدهشة حين رآه وأخذ ينقل بصره بينه وبين هارمونيكا دون أن يدري ماذا يفعل.

لم يعلق ماركو بشيء بل أفلت يدها وقامت هارمونيكا بمداعبة رأس الفتى الذي صار صديقاً صغيراً يلعبان معاً غالباً وابتسمت له.

«السيد سام يقول أن تأتي معي لرؤية المسرح» قال وانتبهت هي إلى تقطية ماركو الحادة وهو يسمع هذه الدعوة.

«قل للسيد سام أن هارمونيكا قد اتفقت معي للذهاب إلى أثينا بوندو» قال فوراً قبل أن يعطيها الفرصة للرد.

بدا حازماً ومتملكاً وتذكرت انها قد اتفقت مع سام دانكن للذهاب إلى المسرح في الليلة السابقة. لكن إغراء الذهاب مع ماركو كان أقوى بكثير مما تتصور. إلا أن شيئاً ما داخلها جعلها تقاوم.

«ماركو...» رفعت نظرها إليه بعدم تأكيد.

«ألا ترغبين بمرافقتي؟» قال بابتسامة مغوية. تردد كبير سكنها قبل أن تقول رغماً عنها: «ليس الأمر أنني لا أريد مرافقتك ماركو لكنني تذكرت أنني قد وعدت سام بالذهاب معه إلى المسرح في ديونيس».

«هكذا؟»

«هو - هو يبدو انه يعرف الكثير عن اليونان وقال أنني - أنني سأجد المسرح جميلاً جداً» قالت مفتشة عن أية كلمات.

قطب مجدداً وقال: «لا أعتقد أنه يعرف اليونان حقاً بالدرجة التي يوهمك إياها. وإلا لكان اقترح أخذك لزيارة «هيرودس اتيكوس». فالمكان هناك أكثر جمالاً ولا يبعد سوى ٣٠٠ ميل من هناك» هز رأسه متابعاً: «على كل حال...».

حيرها تصرفه تماماً كما ظهرت الحيرة على وجه بوندو.

«أنا - أنا آسفة ماركو».

اخترقتها نظراته وتسارعت دقات قلبها. «لا داعي لك للإعتذار هارمونيكا أليس كذلك؟».

«كلا، لكن أنا...».

«أو لربما لم يكن هذا إعتذاراً» تابع برقة: «لربما كنت تعبرين عن... عن الندم. أيهما هو الصحيح

هارمونيكا؟»..

«آنسة هارمونيكا» قال بوندو قطعاً الصمت: «هل أقول للسيد سام انك ستذهبين معه الى المسرح؟»
«أنا...».

«قل للسيد سام أن الآنسة هارمونيكا ستذهب معه الى المسرح من فضلك بوندو».

قال بصوته العميق الهادئ ورمقته بنظرة متشككة دون أن تفهم شيئاً من تعابيره: «ستعود الطائرة لاصطحابي في الحادية عشر هارمونيكا، اقترح أن تذهبي والسيد دانكن معي الى أثينا».

كانت هذه دعوة غير متوقعة خاصة بمعرفتها لعدم تقبله لسام دانكن هذا.

«أنت - أنت لا تمنع بنقلنا الى أثينا؟».

«وهل يجب أن أمانع؟».

«آه - كلا ليس بالضرورة ماركو، هذا لطف كبير منك، شكراً لك».

«يسرني هذا».

شعرت وكأنه يخفي ضحكته بصوته الدافئ وتجاوبت كل أحاسيسها معه فركزت نظرها على بوندو لتجاهل ما يحدث داخلها.

«هل ستقول للسيد سام أن يلاقيني على المدرج في الساعة الحادية عشر بوندو من فضلك - قل له اننا

سنسافر بالطائرة».

فكر بوندو للحظات ثم نظر اليها وقال: «هل ترغبين أيضاً أن أقول للسيد سام أن خالي ماركو سيسافر معكم أيضاً آنسة هارمونيكا؟».

ابتسمت رغماً عنها وقالت: «لقد اقترح خالك ماركو بلطف أن نقلنا معه الى البر هذا كل شيء - قل له ذلك بوندو».

تنقل ببصره بينهما لعدة مرات ثم استدار وغادر الغرفة. لم تستطع هارمونيكا إلا أن تنفجر بالضحك.
«لا سبيل الى تقويمه أبداً» قالت وصوتها مبحوح من الضحك.

مد يده ولامس وجنتها بلطف: «وأنت عليك الضحك دوماً يجعلك هذا جميلة».

عيونها كانت كالمغناطيس مشدودة اليه لم تستطع التحرك من مكانها.

«أراك بعد لحظات» أخبرها: «تمتعي بوقتك مع صديقك».

استمتعت هارمونيكا بالمناظر التاريخية الرائعة وفعلاً أعجبها المسرح الثاني أكثر من الأول كما اقترح ماركو. سام لم يكن بنفس درجة التسلية على كل حال نظراً لأنهما كانا سيتناولان الغداء مع ماركو وفقاً لطلب هذا الأخير وهم بالطائرة بطريقهم الى البر.

«كنت أتمنى لو أن هناك طريقة ما لرفض هذه الدعوة» قال سام وهما يتجهان الى المطعم المقصود: «لكن ماذا كان بإمكانني أن أفعل هو الذي أقلنا الى هنا؟».

«كنت تفضل لو لم يدعونا ماركو للغداء؟»
«كان علي أن أعرف ما الذي كان يدور برأسي هذا اليوناني المتغطرس» قال ثم ابتسم باعتذار: «أسف هارمونيكاً، أنسى دوماً أنه يمت بصلة القرابة لك».
«ليس لي» أنكرت هارمونيكاً: «بل لأنطوني».
«بالضبط! هذا ما يجعلني أتساءل عما يدور بذهنه، لدي شعور أن انطوني لا يحب فكرة خروجك معي وأتساءل ان كان هناك خطة ما للمستقبل...» قال ثم صمت هازأً كتفيه.

ابتسمت بعيون براقة وقالت: «آه، أنطوني يخطط لتزويجي من ماركو».
ظهرت الصدمة على وجهه وقال بعدم تصديق: «وأنت لا تمانعين؟».

ضحكت بعدم تأكد مجدداً: «فقط لأنني لا آخذ الأمر على محمل من الجدية - من غير الممكن لهذا أن يحدث».

«لن أكون واثقاً من هذا» قال وهو يقودها نحو داخل المطعم: «لربما كانت هذه هي الفكرة التي

تتجول بعقله الشيطاني ذاك حين دعانا سوياً للغداء - حتى يتأكد من مراقبته لك حتى بعد أن رفضت دعوته لك للذهاب معه».
«آه، سام».

تسلسلت كلماته اللذيذة الى أعماقها لكنها رفضت الانجراف بهكذا تيار قد يكون له نتائج لا أحد يعرفها.

«هل تعتقدين انه يتعامل بالأمر بنفس الخفة التي تتعاملين انت بها؟» سألها وحين لم ترد تابع: «ثقي بكلمتي هارمونيكاً، لقد تعاملت مع ماركو فيلوستو لسنوات ضمن مجال العمل وقد أعرفه أنا أكثر منك. لا شيء يقف بطريقه حين يصمم على شيء».

«حسناً. بالكاد ينطبق هذا على حالتي» قالت له بهمس من فوق أكتافها.

«له بريق الصياد داخل عيونه هارمونيكاً وبهذه اللحظة هذا البريق مركز عليك أنت».

كلامه كان صحيحاً. لاحظت هارمونيكاً بشبه دوار. صياد أم لا، إلا أن نظرتة كانت فعلاً مركزة عليها وهي تقترب من الطاولة مع سام. ابتسم لها بطريقته الساحرة وسحب لها كرسيّاً قريبه قبل أن يتمكن سام من فعل أي شيء.

«هل تمتعت بما رأيت؟» سألت وطاطات برأسها

موافقة.

«كثيراً جداً - كان من الرائع رؤية ذاك المسرح،
هيرودس أتيكس، وقد شاهدنا تلك المسرحية -
أتعرف من السحر أن تجلس هناك وتشاهد المسرحية
التي كان الاغريق القدامى يشاهدونها قبل - قبل كم؟
مئات السنوات؟ هذا بالفعل رائع».

برقت عيونه بجاذبية وابتسم لها مجدداً: «أنت
سريعة التأثير» قال بصوته البالغ التأثير عليها.
ليس هذا فقط بل سام كان ينظر اليها باستغراب
فأدركت ما الذي يعنيه تعبير «انت سريعة التأثير».

ضحكت بخفة وتناولت قائمة الطعام لتتشاغل بها.
«أعتقد انني دون شك - غريسوفایل. أو لا أعرف
ما هو التعبير الصحيح ماركو، ليس عليك أن تضحك
عليك».

كان هناك تياراً كهربائياً ما يسري بينهما ولم تستطع
تجاهل تسارع نبضات قلبها المجنون.
العالم الذي كان يتراءى بأعماق عيونه كان شيئاً لم
تتمكن من التأقلم وتجاوبت كل ذرة بكيانها مع
وجوده قربها.

«أنا لا أضحك عليك» أنكر ونظر نحو سام دانكن
وكانه تذكر فجأة وجوده معها: «هل نطلب
الغداء؟».

طاطات برأسها بغموض وتمنت من كل أعماقها لو
أن سام دانكن لم يكن معها بهذه اللحظة. لكانت
السعادة هي رفيقهما الثالث.

غمرت السعادة هارمونيكا خلال الاسبوع التالي
لأن سعادة انطونيو نفسه كانت واضحة بقرب موعد
زفافه وشكرت هارمونيكا الله على هذا. لكن ما كان
يقض مضجعها هو معرفة معنى الكلمات التي كان
يناديها ماركو بها منذ فترة. ولم يكن أمامها الا
انطوني لتسأله.

ضحك وقال: «من الذي يدعوك بالصغيرة؟».

«آه، لقد سمعت فقط هذا التعبير وتساءلت عن
معناه هذا كل شيء».

لكن انطوني لم يكن ممن يقتنع بهذا فقد ابتسم لها
وغمزها قائلاً: «ماركو! ماركو هو الذي يدعوك
بالصغيرة، أليس كذلك هارمونيكا؟».

«أجل، أحياناً يفعل» قالت بخفة.

هز انطونيو رأسه وقال: «هذه مجرد بداية، انه
تحجب ساحر أليس كذلك؟».

«تحجب؟» ظنت ذلك لكنها لن تصدق أن ماركو قد
يفعل هذا.

«أسميه تحبباً» أصر انطوني: «وأنت بالطبع لن
تكريه ذلك هارموني، أليس كذلك؟».

«أعتقد ذلك» قالت ثم تابعت: «لكن - ماذا تعني كلمة «مو» بنهاية هذا التعبير انطوني؟ ماذا تعني؟».

نظر إليها شقيقها وضحك قائلاً: «آه، يصبح التعبير أكثر - أكثر» ضحك مجدداً وتابع: ««مو» تعني لي وهي أكثر امتلاكاً؟».

استلقت هارمونيكا مجدداً ووضعت النظارات الشمسية على عينيها وتابعت: «وتعبير «باتي» ماذا يعني؟».

هذه المرة نظر إليها بتقطيب وتساءلت ان كانت قد أخطأت بالتعبير.

«باتي» ردد: «من نعتك بالطفلة هارموني؟ ليس ماركو؟».

«بلى هو ولأكثر من مرة» أكدت وشعرت بالخيبة لأن تعابيره كلها كانت حول الطفولة.

«حسناً» قالت: «ما دام الأمر سيستمر على هذا المنوال فسأفهم انه يعتبرني مثل بوندو تماماً».

«كلا» عارضها انطوني: «لا أعتقد ذلك يا شقيقتي! مثل استعماله تعبير «مو» «أكب مو» مثلاً؟».

هزت رأسها بعد لحظة تفكير وقالت: «كلا، ليس هذا التعبير لكنني سمعت مارسيليو يستعمله مع ساريا».

«أجل فهذا يعني حبيبتني».

«اذن من غير الممكن أن يكون ماركو قد استعمل هذا معي أنا؟ أنت على المسار الخاطئ انطوني».

«لا أظن ذلك» أصر انطوني: «لكن حين يدعوك ماركو بـ «أكب مو» فسأعرف حينها أن خططي تسير على أفضل نحو».

«خططك؟» رددت بشبه تعنيف: «لم أظن أن لديك الكافي من الوقت للتفكير بخطط الآخرين بما أن زفافك أنت أصبح على الأبواب».

تمطى بتكاسل واضعاً يديه أسفل رأسه: «بما انني العريس فليس علي التخطيط للكثير، التخطيط والإثارة وقفا على النساء - عندي الكافي من الوقت للتفكير بك وبماركو».

«الوقت ربما لكن ليس السبب» أنكرت: «انت تربكني انطوني. بمحاولاتك بالتوفيق هذه، ولا شك انك تربك ماركو أيضاً - أتمنى لو تتوقف عن ذلك».

بدا مندهشاً لقولها هذا وحدثق بها قائلاً: «هل تفضلين أن تنفذي رغبات مارسيليو بالزواج من الفرنسي سام دانكن؟».

«أفضل أن تتوقفا أنتما الاثنان عن محاولاتكما هذه بتزويجي وأن تدعاني أختار بنفسني انطونيو! لا حق لك فعلاً بالضغط الدائم علي للزواج حسب طريقتك أنت».

نظر إليها وقال بصوته الهادئ المنطقي: «لكن إذا كانت كل رغباتي بالحياة هي أن أرى ماركو متزوجاً ثانية وأن تبقي أنت معي هنا في ساردا. فما هو الحل الأفضل من أن تتزوجا وهكذا تحققتان أغلى رغباتي؟».

«لكن افترض انني لا أريد الزواج من ماركو». خلع نظارته واقترب منها محدقاً بها بعمق وأمسك بيدها قائلاً: «لا تتمنين الزواج به؟».

ارتعشت بوضوح ففكرة الزواج من رجل مثل ماركو فيلوسو تفتح أمامها أفاقاً لا تجرؤ على مجرد التفكير بها.

«النقطة الأصح بهذا الموضوع» قالت وهي تحاول المحافظة على ثبات صوتها: «هل يتمنى ماركو الزواج مني؟».

«أجل بالطبع» رد انطونيو بثقة وفوراً: «ماركو بحاجة لزوجة أخرى وأنت شابة، جميلة وبصحة جيدة - ألسنت مثالية له؟».

لم تستطع هارمونيكا الرد مباشرة عليه فكلامه كان منطقياً ومحسوباً، ماركو بحاجة لزوجة بالطبع نظراً لعواطفه الملتهبة الجياشة وهي المرأة الوحيدة على ساردا والمقدمة اليه على طبق من الفضة إذا صح التعبير نسبة الى ما يفكر به انطونيو.

«هارمونيكا؟» أعادها صوت انطونيو الى الواقع: «ألا توافقين معي انك تشكيلين الزوجة المثالية لماركو؟».

احتضنت ركبتيها وأخفت بشعرها نصف وجهها وقالت: «لا أظن أن الأمر يحتاج لمجرد التفكير سواء أكان ماركو يشكل لي الزوج المثالي أم لا، أليس كذلك؟».

بدأ الذهول على انطونيو وكأن الفكرة لم تخطر بباله أبداً.

«لكن ماركو مناسب مئة بالمئة لك هارمونيكا» قال: «انه ثري ومن عائلة عريقة وتجدنه النساء بالغ الجاذبية. ما الذي تطليبنه أكثر من هذا بزواجك يا شقيقتي الحبيبة؟».

حدقت بمياه الحوض للحظات قبل أن تقول: «وهل أطلب الكثير اذا ما أردت من زوج المستقبل أن يحبني حباً جماً؟».

ظل صامتاً لبعض الوقت ثم قال: «سيأتي هذا مع الوقت» وشعرت هارمونيكا كأنه يستظهر شيئاً حفظه صماً.

ثار غضبها وانتزعت نظاراتها بحدة وحدقت به بعيونه البراقة وقالت: «كما تأمل أنت أن تحب ماروشكا مع الوقت بدلاً من بريجيت».

ندمت فور نطقها بهذه الكلمات المجنونة ونظر هو بعيداً للحظات قبل أن ينظر إليها مجدداً ويقول بصوت هادئ:

«صحيح انني كنت مجنوناً ببريجيت، لكنك مخطأة باعتقادك أنني لا أحب ماروشكا. كنت أحبها بعمق وبشدة و... بعاطفة مشبوبة؟ كما تقولون؟ لكنني أذيتها بعمق أيضاً بسبب جنوني وطيشي. الآن - ماروشكا ليست بجمال بريجيت أعرف. لكنني أعرف الآن انني أحبها - بطريقة مختلفة يصعب شرحها».

«آه، انطوني - أنا آسفة! أنا - أنا لم يجدر بي قول ما قلته».

أمسكت يديه بيديها وبعيونها نظرة توصل للمسامحة فابتسم هو بعد لحظات ورفع يديها الى شفاهه قائلاً:

«أنا أفهمك هارمونيكاً، لربما أفضل مما تفهميني أنت ايه؟» عادت عيونه لتحمل الدفء والحب: «لربما أنا رجل حكيم مثل ماركو ايه؟».

«أنت رجل رائع» قالت له بحب وهي تعانقه: «وأنا واثقة أن ماروشكا ستكون عروساً جميلة جداً لك لأنها تحبك كثيراً جداً».

عادت الجدية لتسكن ملامحه وقال وهو يهز رأسه الذهبي ببطء: «أعرف».

دعاها مارسيليو وساريا لتناول العشاء عندهم في الليلة السابقة لسفر سام دانكن لم يرتج انطونيو لهذه الدعوة لكن هارمونيكاً وافقت على الدعوة بسرور وكانت على الموعد بمنزل ساريا. كان العشاء ممتعاً ومسلماً وأصر سام على توصيلها بنفسه الى القيللا بعد أن يسيرا قليلاً على الشاطئ بهذه الليلة الساحرة.

«سأغادر ساردا فقط لكنني سأمكث بفندق بلازا في أثينا هارمونيكاً لمتابعة أمور العمل ولهذا فأنا أمل برويتك مجدداً قبل عودتي الى فرنسا هارمونيكاً».

«لا أرى مانعاً بذلك سام».

أمسك بيدها بمودة وهما يسيران بهذا الجو الخلاب الساحر وابتسم لها قائلاً: «هل ستفتقديني فعلاً بعد رحيلي هارمونيكاً؟ أم انني فقد امتدح نفسي اذا ما فكرت بهكذا أمر؟».

«حسناً بالطبع سأفتقدك» قالت وهي تبعد شعرها عن وجهها: «لقد تمتعت برفقتي لك طوال الاسبوعين الماضيين وقد نلتقي مجدداً بوقت ما».

ظل صامتاً وكأنه يفكر بشيء ما وتمنت هارمونيكاً الا تدور برأسه أفكار أكثر جدية حول فراقهما. فقد استمتعت برفقته أجل لكن الأمر ينتهي عند هذا الحد فقط وهي ترغب الآن بقول الى اللقاء له وتمني التوفيق له بعمله.

«هل تفكرين بالاقامة الدائمة على هذه الجزيرة؟»
سأل وهو يتنسم لها بجاذبية.

«آه كلا، بالطبع لا» سارعت بالانكار وقد فاجأها
سؤاله تماماً: «سأبقى لأسبوعين آخرين لأحضر حفل
زفاف انطوني ثم سأعود».

«ألاحظ أنك قد قلت سأعود وليس سأعود الى
موطني - هل هناك سبب لذلك؟».

فكرت قليلاً، ثم قالت: «أعتقد ان السبب يعود
الى انني اعتبر الجزيرة بحبها لهذه الجزيرة الخيالية
موطناً ثانياً لي - لا أظن هناك أي سبب آخر
لذلك».

«فهمت. أنا فقط اعتقدت انك و...» صمتت
قليلاً بارتباك ثم تابعت: «تعرفين أن ماركو فيلوسستو ذاك
لن يتركك ترحلين تعرفين ذلك هارمونيكا أليس
كذلك؟».

مجدداً تسارعت نبضات قلبها واستغرقت بعض
الوقت قبل أن تقول:

«بالكاد أظن ذلك سام! يبدو انك تشارك انطوني
وجهة نظره الخاطئة حول شعور - أو تفكير - ماركو
نحوي، لكنكما سوياً على خطأ فادح أعترف!».

«لا أظن هذا هارمونيكا، انه...» هز أكتافه
وتابعت: «لكن هذا ليس من شأني أليس كذلك؟» ابتسم

لها برق ثم قال: «فبعد كل شيء لقد عرفتكم منذ
أسبوعين فقط وقد نلت كفايتكم دون شك بهذا
الموضوع من انطوني شقيقك. أنا بالكاد مؤهل للنطق
بهكذا ملاحظات شخصية».

«آه أرجوك لا تشعر بالسوء لهذا سام» قالت
بابتسامة: «كما قلت انطوني ملح جداً بهذا الموضوع
ولهذا فلا مانع من أن تدلي أنت بدورك بدلوك بهذه
النقطة».

«لربما قد تبدأين بتصديق ذلك».

هزت هارمونيكا رأسها بشدة وقالت بضحك: «آه
كلا، يبدو أن الدافع لذلك هو شيء ما بالهواء على
هذه الجزيرة. فالجميع يحاول التوفيق بين الرجل
والمرأة وأنا هي الهدف المفضل لذلك».

«لربما لأنك الخيار الواضح» قال بمرح: «لربما لو
لم أكن - فرنسياً جداً - لكنت أعطيت مارسيليو سبباً
أكبر لتشجيع محاولاته لكن هاك! أنا آسف بشأن
محاولات مارسيليو المصرة على صنع علاقة حب
حميمية من هذه الصداقة الرقيقة - لا شك أنه سبب
لك الإرباك معظم الأحيان».

«آه أرجوك لا تقلق بهذا الشأن» ضحكت: «لم
يكن الأمر أكثر سوءاً من محاولات انطوني لتزويجي
من ماركو - بل كان الاول أقل سوءاً في الواقع».

نظر اليها وبدا أكثر جدية، أكبر سناً وأكثر جاذبية وقال: «انطونيو لن يستسلم ويترك الأمر حتى اللحظة الأخيرة هارمونيكاً - انه فيلوستو حتى العظم! آسف، لكنك تعرفين ما الذي أقصده».

طأطأت رأسها موافقة دون أن تنطق. فما كان يهم هنا هو ماركو وليس انطونيو نفسه. فإذا كانت نفس الأفكار تدور برأس الأول فهناك ستكون مشكلتها العويصة.

نظرت اليه بابتسام وقالت: «أحياناً كثيرة أشعر انني لا أستطيع التأقلم مع هذه العائلة سام، أشعر وكأنني لن أتمكن أبداً من فهم انطوني مع أننا توأم».

«وهو حسب ظني يشعر وكأنه عالق بين السندان والمطرقة. لديه شبه كبير ومماثل لك لكنك بعيدة تماماً عن العائلة التي يعيش معها منذ سنوات وسنوات».

«أنت يعجبك انطوني؟» سألت بشوق.

فابتسم سام قائلاً: «أجل انه يعجبني كثيراً مع معرفتي الكاملة انه سيكون بالغ السرور لسفري في الغد» ضحك متابعاً: «أعرف دافعه لذلك تماماً هارمونيكاً ولا أحمل ضغينة ضده - في الواقع أنا أشعر بالزهو لاعتباره لي كمنافس من نوع ما أمام ماركو فيلوستو».

«أنت متفهم تماماً» قالت بصدق وهي تشعر بإعجابها به.

اشتدت أصابعه حول يدها وابتسم لها مجدداً: «وأنت فتاة بالغة الجمال والفتنة - بالغة الجمال والفتنة للدرجة انني لا أرغب بتوديعك. سأفتقدك هارمونيكاً - اذا حدث وانتزعت نفسك من جنة عدن هذه هارمونيكاً فأنا أرغب وبشدة برؤيتك ثانية فعلاً».

برقت عيونها وقالت: «آه سام أنا سأغادر هذا المكان بالطبع - بعد زواج انطوني وماروشكا وسفرهما لقضاء شهر العسل لن يتبقى لي أي سبب بالبقاء».

أحاط كتفيها بذراعه وتابع السير على رمال الشاطئ البراقة وقال: «لن يحدث هذا الا بعد شهر من الآن هارمونيكاً. الأخوة فيلوستو هارمونيكاً اثنان يستحيل الوقوف بوجههما اذا ما صمما على رأيهما بأنك زوجة جيدة لماركو نفسه».

«يعتقد انطوني انني سأكون - زوجة مناسبة لماركو. لا أعرف ما هي وجهة نظر ماركو بهذا المجال لكن يقول انطوني انني أمتلك معظم المقومات الصحيحة. أنا شابة، بصحة جيدة وجميلة المنظر مما تبدو المقومات الأساسية لزوجة ماركو فيلوستو» ضحكت بعصية وتابعت: «أشعر أحياناً

وكانني فرس سباق يتم فحصها.

«آه هارمونيكا» قال: «لا أعتقد ان ماركو بمثل برودة الأعصاب هذه، شقيقك كان فقط يغيظك».

«أمل أن يكون هذا هو الوضع بالفعل» اعترفت: «لكنه كان جاداً جداً سام وأتساءل ان كان ماركو ينظر الي من نفس هذا المنظار أحياناً».

حدق بها للحظات ثم قربها منه وسأل برقة متناهية:

«وهل سيؤلمك الأمر كثيراً اذا كانت هذه هي حاله بالفعل هارمونيكا؟».

«لا أعرف» قالت بعد فترة من الصمت: «أتمنى لو كنت أعرف».

كانا يسيران الآن بمحاذاة حوض القبلا فأوقفته هارمونيكا هناك فهي ترغب أن أحداً من أبناء فيلوستو لن يرغب برؤيته على أعتابهم - هذا اذا كان أحدهم لا يزال صاحباً حتى الآن.

شدد قبضتيه على يديها وطبع قبلة عليهما قبل أن تنتبه وقال برقة:

«أنا متردد جداً بوداعك هارمونيكا سأسافر بالغد مع مارسيليو وماركو الى البر ولن تكونين مستيقظة في الصباح أليس كذلك؟».

«غالباً هم يسافرون في الصباح الباكر».

أمسك بيديها بقوة لكن دون تملك وسرح ببصره على وجهها الجميل وقال:

«سأرغب بالاتصال هاتفياً بك الاسبوع المقبل هارمونيكا اذا سمحت لي بذلك».

«بالطبع أسمح لك بذلك سام».

«سأتصل عند مارسيليو» قال بضحك: «لا أريد من ماركو فيلوستو أن يقيم الدنيا ويقعدها اذا ما استعملت رقم هاتفه الخاص للاتصال بك انت بالذات».

«لكنه لن يفعل، بالتأكيد لن يفعل شيء كهذا».

«قد يفعل وسيفعل اذا ما كانت مثل تلك الأفكار تدور بذهنه حولك» قال بثقة: «حالما أتمكن من توفير أمسية حرة أو فترة ما بعد الظهر فسأتصل بك أو سأطلب من ساريا نقل رسالة لك موافقة؟».

«افعل ذلك. وأنا أنتظر ذلك بشوق سام».

«ليس أكثر مني» قال ثم تابع: «تصبحين على خير هارمونيكا و... الى اللقاء».

اختفى خلف الاشجار ونظرت هارمونيكا الى القمر الساحر الساطع بوسط السماء وسارت على حافة الحوض وتوقفت لتحقق بخيالها المنعكس على المياه الفضية. كانت تبدو فعلاً ساحرة المنظر وأثيرية بوجهها البضاوي وعيونها الخضراء الواسعة وكتلة شعرها الذهبي منسدل حول وجهها وعلى أكتفائها...

شبهت بذهول تام حين رأت الخيال الآخر الذي
ظهر فجأة الى جانبها بعيون سوداء داكنة براقه حتى
بضوء القمر الفضي هذا. كادت أن تسقط وهي
تستدير لولا أن ساعديه أمسكتا بها بصرامة ووجدت
نفسها تحديق بالملامح التي تعرفها جيداً.

«لقد - لقد أخفنتي» تمتمت بصوت مبحوح وقلبها
على لسانها.

«لربما فاجأتك» صحح لها بصوته العميق المؤثر
وابتسامته الساحرة دون أن يفلت ذراعيها وتابع: «أمل
أن رؤيتك لي لا تخيفك، هل تخيفك؟»
«كلا بالطبع لا».

«انت ترتعشين» قال وصوته يزيد من ارتعاشها.
فهزت رأسها بإنكار لكنه ابتسم متابعاً: «أستطيع أن
أشعر انك ترتعشين هارمونيكا. اذا كان السبب
ظهوري المفاجيء واخافتي لك فأنا آسف».

أخذ يربت على كتفيها وكأنه يريد تخفيف خوفها
مما زاد من تسارع نبضات قلبها وتمتت بتلعثم.
«أنا - أنا لم أكن أتوقع رؤيتك - أو رؤية أحد، لم
أكن أفكر».

«الا بالمخلوقة الجميلة المعكوسة صورتها داخل
المياه؟» اقترح بابتسام: «هل تخيلت أن من ظهر هو
«بان» القادم خلف حبيبته «سايرنكس»؟».

زادت ابتسامته اتساعاً لدى رؤيته لحيرتها.
«بان؟» الإله الذي نصفه إنسان ونصفه ثور؟» سألته
وعقلها مستعصي على التفكير.

«أنت تذكرين انه وقع بحب الفتاة الجميلة
سايرنكس. لكنها خافت كثيراً من ظهوره وهربت منه
متحولة الى غزال - الغزال الذي أخذ منه القرون
واستعملها كمزمار يعزف عليه لحن الجمال واللوعة.
أتذكرين؟».

«لا - لا أظن انني قد سمعت القصة بالتفاصيل هذه
من قبل» اعترفت: «لطالما اعتقدت أنه شرير وعلى
الأقل - مخلوق بلا عواطف وأحاسيس. لا شك انه
كان حزيناً جداً و - وتعباً».

«لقد أسيء فهم نواياه» قال بجدية وعيونه تسجن
نظراتها: «من سوء الحظ حقيقة أن النوايا غالباً ما
تفهم بشكل خاطيء بين المرأة والرجل».

لا شك انه يقصد بشيء ما بكلماته هذه فكرت
هارمونيكا لكن عقلها لم يكن يسعها بهذه اللحظة
وكل ما تمكنت من قوله هو:
«ربما».

نظر ماركو الى الجهة التي غادر منها سام وقال:
«لقد ودعت رجلك الفرنسي؟»
رفعت نظرها اليه بسرعة وقالت: «كنت هنا؟».

«كنت قريباً من هنا» أوضح ببساطة: «مررت من جانبي دون أن تروني وأنا جالس تحت الاشجار - مستمتعاً بتدخين سيجارة أخيرة قبل الخلود للنوم. لقد نام جميع من في المنزل».

لم تكن كلماته اتهاماً لها بالتأخر لكنها كانت تدرك انه لا يوافق على ذلك فقالت بغفوية: «آه، هل كنت بانتظار عودتي؟ آسفة اذا كنت قد أبقيتك ساهراً ماركو».

انغرزت أصابعه بلحم ذراعيها وبرقت عيونه بشيطانية وقال: «أمل انك لا تأخذين منهج السخرية هارمونيكاً».

هزت رأسها بسرعة وقالت: «انت تؤلم ذراعاي ماركو أرجوك لا تفعل - لا تمسك بي بهذه القوة».

«آسف».

كانت هذه هي المرة الثانية التي يعتذر لها هذه الليلة وتراخت أصابعه فوراً وأخذ يلامس مكان قبضته بلطف وتجاوب قلبها مع هذا وشعرت وكأن أنفاسها ستقطع وكان عليها النطق وقول أي شيء - مجرد أي شيء».

«أنا - أنا لم أودع سام فعلاً - سيبقى في اليونان لأسبوع آخر بعد».

«ليس هنا في ساردا؟».

هزت رأسها ملاحظة نبرته الصارمة: «كلا سيبقى في فندق ما في أثينا لمتابعة بعض الأعمال ثم سيعود الى الوطن».

«وسترينه مجدداً؟».

«أجل» قالت ببساطة وهي تطأ رأسها.

«أنت - معجبة به؟».

«أجل أنا معجبة به بشدة لكني لست واقعة بحبه ماركو اذا كان هذا ما تحاول اكتشافه».

«بظرف اسبوعين؟ من غير المحتمل لهذا أن يحدث».

«ألا تؤمن بالحب من أول نظرة؟» سأله بصوت متقطع: «مارسيليو يؤمن بذلك».

«مارسيليو أبله».

«وهو أيضاً يحب زوجته».

تمتم شيئاً ما باليونانية. شيء غاضب وعنيف وارتعشت مجدداً حين اشتدت أصابعه عليها. تمتمت بشيء لم تكن متأكدة مما كان فعلاً الا انه قال بهمس:

«اذا كنت تشيرين غضبي لهذه الدرجة فعليك تقبل تحمل العواقب لكن لا نية لدي بإيذائك أو اخافتك».

«أنا...» بدأت وحدقت به بدهشة لأن الخوف كان آخر ما يخطر ببالها بهذه اللحظة: «ماركو

انت...»

«أنا آسف» قال للمرة الثالثة ولاحظ الابتسامة الصغيرة التي لاحت على وجهها: «اذن - تجدين الأمر مسلياً أليس كذلك؟»

«آه كلا ماركوا! بالطبع لا أفعل! أنا لم أكن أضحك. أنا - أنا فقط ابتسمت هذا كل شيء، لأن هذه هي المرة الثالثة التي تعتذر لي بها لهذه الأمسية».

«وتجدين هذا أمراً مسلياً؟»

«آه كلا! أرجوك توقف عن التفتيش عن سبب لتغضب مني! الأمر فقط أن...» هزت رأسها وأخفضت بصرها متابعة: «أنت لا تعتذر عادة - بهذه السرعة والكمية».

«كلا؟»

كان يصعب عليها المحافظة على رشدها وهو قريب هكذا منها. سارت لخطوة مبتعدة حين أمسك بها مجدداً.

«هل ستهربين بعيداً عني مجدداً هارمونيكا؟ كما هربت سايرنكس من الإله بان؟ هل أخيفك لهذه الدرجة يا صغيرتي؟»

يا صغيرتي - وانتفض قلبها بقوة ورفعت بصرها اليه بعد لحظة بدت كالدهر وقالت:

«أنت - أنت لا تخيفني ماركوا لكن - لكن لربما لم تكن سايرنكس بالغة الخوف - بل - بل غير متأكدة فقط».

غمر عيونه الدفء والرقه وسأل:

«أعتقدين هذا سوء فهم آخر بين الرجل والمرأة كما ذكرت سابقاً؟»

«أليس هذا ممكناً؟»

ظل يحدق بها للحظات طويلة بهذا الجو الرائع ثم أمسك بيدها وسار معها الى القيللا.

«هذا ممكن» قال بهدوء: «لربما الآلهة مثل الرجال لا يحظون بالكثير من الصبر».

نامت هارمونيكا ليلتها تلك والكثير من الأحلام الغريبة والمتناقضة تدور بعقلها اللاواعي. وحين استيقظت صباح اليوم التالي عرفت أن ماروشكا كانت ستزورهم هذا اليوم كزيارة أخيرة لها قبل موعد الزفاف.

كانت علاقتها قد توطدت أكثر قليلاً مع الفتاة الرقيقة وحين رأتها هارمونيكا هذا الصباح خطرت بعقلها فكرة رائعة. الجمال كان موجوداً عند خطيبة شقيقها لكنه بحاجة لمن يظهره. فشعرها الساحر البراق مثلاً كان دوماً مربوطاً الى الخلف بشكل تقليدي وفساتينها رغم ثراءها كانت دوماً ذات ألوان

داكنة وغامقة. ولهذا فقد أقنعت الفتاة بإجراء بعض التعديلات الضرورية عليها قبل الزفاف ومع أن ماروشكا الخجولة بطبعها لم تتقبل ذلك على الفور إلا أنها وافقت حين أدركت أن أنطوني سيرغب بذلك دون شك وفقاً لتأكيد هارمونيكا الثابت لها بذلك.

وبالفعل فقد استعملت هارمونيكا خبرتها بتصفيف شعر ماروشكا وفقاً لقصة عصرية جديدة تظهر جماله ورقة وجهها. ثم أصرت على ارتدائها لثوب أزرق فيرزوي كان يناسبها من بين ملابس هارمونيكا ومع لمسات قليلة من الماكياج وأحمر الشفاه وقفت ماروشكا كالمصعوقة أمام خيالها المنعكس على المرأة.

«هذه أخرى هارمونيكا! لا أعرف إن كان علي النزول إلى العشاء هكذا...».

«بل ستنزلين وسترين كم سيتفاجأ أنطوني! هيا تعالي لقد تأخرنا».

نزلتا السلالم بصمت وترقب لرد الفعل القريبة وماروشكا كانت البالغة التوتر والترقب عما سيفعله أنطوني حين يراها.

لكن من رأهما أولاً كان ماركو الخارج من غرفة الصالون نظر إليهما وكأنهما زهرتين زرقاء وأخرى صفراء وظهرت مسحة من الامتعاض على وجهه مما

أثار حفيظة هارمونيكا وأثار خجل الأخرى.

«ما رأيك إذن بماروشكا الجديدة ماركو؟».

«ليس الرأي لي هارمونيكا بل لوالدها ولزوجها المستقبلي».

«تستطيع أن تقول كم هي جميلة فقط ماركو دون الحاجة لطرح موضوع اجتماعي لا داعي له هنا» قالت وعيونها تتحداه ببريق غاضب.

مجدداً نظر إلى ماروشكا بتفحص وتمتم لها شيئاً باليونانية جعل ماروشكا تبتسم وتغض نظرها.

«لقد تأخر الوقت» عاد ليقول الآن: «الجميع بانتظارنا».

قال وأمسك بذراع ماروشكا ثم وضع ذراعه داخل ذراعها هي كأنه يعنفها وساروا جميعاً إلى الداخل.

مهما كان رد فعل ماركو ودوافعه إلا أن هارمونيكا شعرت بسعادة عارمة حين رأت رد فعل شقيقها المذهول أولاً ثم فرح ساريا لرؤية جمال خطيبته الحقيقي وكذلك كان رد فعل الجميع بدرجة أكثر أو أقل.

لكن رد فعل ماركو كان يقلقها ويقلل من سعادتها بما أنجزت.

«الجميع مسرور لرؤية ماروشكا هكذا ماركو باستثنائك» لم تستطع إلا أن تقول له وهو يجلس

قربها على المائدة: «هل لي بمعرفة السبب؟».

«إذا لم تكتشفي السبب حتى نهاية العشاء ف سأطلعك على ذلك بنفسي بعد ذلك. أما الآن فتناول الطعام».

العشاء كان ممتعاً كالعادة وحين أعلن مارسيليو وساريا رغبتهما بالرحيل فعل الجميع ذلك. السيدة فيلوستو وماروشكا نفسها. هارمونيك كانت منسجمة بحديث مع انطونيو حول تفاصيل الزواج وحين أعلن انطونيو نفسه رغبته بالخلود الى النوم انتبهت هارمونيك انه لم يتبق غيرهم وماركو داخل الغرفة.

فنهضت بدررها لتغادر مع شقيقها حين سمعت «هارمونيك، هلا بقيت لبعض الوقت بعد وتحدثت معي من فضلك؟».

الطلب نفسه لم يكن متوقفاً فما بالك بطريقة التوسل اللطيف التي نطق هذا الطلب بها. برقت عيون انطونيو وابتسم لها وبعينه تساؤلاً واضحاً.

«سأراك في الغد انطونيو».

قبلها على وجنتها وضحكة خبيثة تظهر على وجهه وقال بهمس: «هل رأيت هارموني كيف يتوسل بقاؤك معه واستمناعه برفقتك؟».

دفعته نحو الباب بمرح وقالت: «تصبح على خير

انطوني».

انتظرت الى أن أغلق الباب خلفه قبل أن تنظر الى ماركو.

«اجلسي» قال.

«كلا شكراً سابقي واقفة» قالت.

رفع حاجبه وظل مكانه وظلت هي صامتة. ترمقه وتذكر قصة الميتولوجيا حول «بان» وحبيبته وشعور مثير غريب داخلها وهي تذكر روعة عناقها لها.

«تعتقدين انني غير منطقي بتصرفي حيال محاولتك - لبث الاشعاع على ماروشكا».

لم يكن يطرح سؤالاً بل يقول حقيقة واستجمعت قوتها وقالت بيروود: «بدا الجميع غيرك مسروراً للنتيجة، لا أجد لك سبباً لفعل العكس ماركو».

«أنا لم أكره النتيجة - لقد امتدحت ماروشكا كما تذكرين» ابتسم بمرح فاجأها متابعا: «تبعاً لأوامرك فعلت هذا كما تذكرين دون شك» تجاهلت محاولته هذه وهزت كتفها بخفة: «على كل حال لقد سرّ هذا انطوني وكان هذا هو هدف العمل».

«لجعل انطوني مسروراً؟» قال: «اعتقدت أن هذا هو السبب. لكن لماذا هارمونيك؟».

رفعت نظرها اليه بحيرة كاملة لسؤاله هذا وتابع هو: «لماذا محاولة تغيير ماروشكا؟ كان انطوني

سعيداً بها كما هي عليه حتى الآن».

«لكنه لم يكن كذلك دوماً أليس كذلك؟».

قالت كلماتها بعفوية ودون تقصد تذكيره ببريجيت الفرنسية ولم يحب هو هذا التذكير كما كان واضحاً من تعابيره التي تجهمت فجأة.

«وأنت لم توافقي على تصرفاتي بذلك الموضوع أيضاً أليس كذلك؟».

«أنا لا أوافق على أي شخص يحاول إدارة حياة الآخرين عنهم! أما عن وجهات نظري الخاصة بالزواج - فأنا دائماً أنظر إليه كالنتيجة المؤكدة لعلاقة حب. المسألة بأكملها أكثر بكثير من مجرد - مجرد التوفيق بين الخراف».

«ما هذا الهراء؟».

«بالنسبة لك قد يكون هذا هراءاً - فأنت رجل! لكن فكرة التفتيش عن الشريك وفقاً لنقاطه الجيدة - ولملائمته المادية تجعلني أشعر بالقرص ماركو - مهما كانت هوية من ينظر الي وفق هذا المنظار التجريدي».

حدق بها بعيون متقلصة وقال بصوته العميق المؤثر: «وماذا بشأن النساء صاحبات الحظ الأقل منك هارمونيكاً؟ أولئك اللواتي لا يملكن الخيارات الكثيرة حول زوج المستقبل؟ أولئك اللواتي لا يملكن

نظرات ذهبية تستطيع إدارة رأس الرجل وسحبه حتى أقدامهن؟ هل عليهن متابعة حياتهن من دون زوج، فيم لديهن صفات أخرى، صفات عملية أكثر تجعلهن زوجات جيدات؟».

«تعرف انني لم أقصد ذلك».

«هل تعتقدين أنهن لن يشعرن بالسعادة لاختيارهن كزوجات للرجال؟ تماماً كنفس سعادة المرأة التي يتم اختيارها تبعاً لجمالها وحده؟».

«أنا لم أقترح أنهن قد - آه، ما الفائدة، أنت فقط لا تفهم أبداً أليس كذلك؟».

«أنت ببساطة لا تفهمين عاداتنا هارمونيكاً، تختلف الأشياء هنا عنها في فرنسا».

طأطأت برأسها وقالت: «أعرف» صمتت مجدداً ثم قالت ونبضها يتسارع: «أنت - نحن كنا نتحدث عن ماروشكا - أم ان أبقيتني فقط لتصرخ علي».

«لم أكن أدرك - انني كنت أصرخ عليك».

«أنت انتقدت وجهة نظري بشأن الحب والزواج وبشأن محاولاتي وجهودي لمساعدة ماروشكا! اذا كنت لم تصرخ علي فعلاً فأنت قاب قوسين أو أدنى من فعل ذلك - وأنا لا أحب أن يوجه أحدهم العظات لي ماركو وكأنني طفلة سيئة».

توقعت أن يثور غضبه لكن هذا لم يحصل بل رفع

ماركو رأسه نحو السماء يناجي ربه بلسانه اليوناني
ووضع رأسه بين يديه للحظة طويلة. ثم حين رفع
نظره نحوها رف قلبها بجنون نحوه وشعرت بخفة
غريبة داخلها.

«لماذا تفتشين دوماً عن إثارة غضبي؟» قال بهدوء
وبصوته الذي يفعل الأعاجيب بها.

«لماذا أنت تغضب بسرعة؟» همست بدورها.

لم يجيب بشيء لبعض الوقت وظل يرمقها وجو
من السحر يسيطر بينهما.

«لربما لأنك امرأة تقوم - تقوم دوماً وبدون كَلَل
بتصعيب الأمور لي. هكذا تبدو الأمور لي» تابع
بسرعة قبل أن يسمع معارضتها: «تجعليني غاضباً
لأنك - لأنك لا تتصرفين بالطريقة التي أتوقع منك أن
تتصرفي بها. لكنك دائماً مصممة وبإلحاح على القيام
بالشيء المعاكس، لمعارضة رغباتي».

كان هذا اعترافاً غير متوقعاً من ماركو فيلوستو.
نظرت إليه وطيف ابتسامة يلمع على فمها وقالت:
«وأنت لست معتاداً على أن يعارضك أحد، أليس
كذلك ماركو؟».

ببطء فتشت العيون السوداء عن وجهها وتسارع
نبضها وهي تسمعه يقول:

«كلا - كلا لست معتاداً على المعارضة ولا على

المشاعر التي تخلقها داخلي، خاصة اذا كانت
المعارضة تأتي من امرأة».

ضحكت بنعومة وقالت: «لكني لست من نوع
النساء اللواتي توافق عليهن ماركو أليس كذلك؟ أنا لا
أحب أن ينظم لي حياتي أحد ولا أن يقوليني بالقلب
الذي يريده الآخرون لي حول ما علي أن أكونه - أو
ما علي قوله».

«ولا أن يكون انطونيو أو بوندو هو الموضوع! ألا
يوجد حدود لأسباب معارضتك يا صغيرتي».

اهتزت لسماعها التحجب الرقيق واعترفت: «أنا
عادة لا أتوقف للتفكير. لربما لهذا تغضب مني».

لم ينكر هذا وقال: «والآن لقد أخذت على عاتقك
اعطاء انطونيو نسخة داكنة عن بريجيت ساربو».

«ماركو!» قالت بذهول وقد كشف حقيقة هدفها.
«ألم يكن هذا ما كنت تحاولين فعله؟» سألها
بتحدي.

انه يتفوه بالحقيقة أدركت واكتفت ببطأة رأسها
بصمت وبرق اللطف والتفهم داخل عيونه فجأة.

«لن ينفع هذا يا صغيرتي. الا اذا تم تحقيقه بشكل
تدريجي - ألا ترين ذلك هارمونيكا؟ ماروشكا تختلف
عنك وعن ساريا وهي بالطبع تختلف عن بريجيت
ساربو. لقد نشأت وتربت وفق عالم صغير خاص بها

والمغامرات الجديدة تعتبر مخاطرات بالنسبة لها اذا حصلت بشكل مفاجيء. وأيضاً كيف سأفسر لصديقي السيد بيلاردو والدها سر هذا الاختلاف الجذري بشكل ابنته.

«لقد - لقد قلت هذا لماروشكا لكنها قالت انه لن يمانع» سارعت للدفاع بسرعة.

«سيمانع اذا كان التغيير كبيراً» أكد لها بثقة: «وهي لا تزال ابنته الى أن تصبح زوجة انطوني».

«فهمت».

هز رأسه وشبح ابتسامة يلوح على محيئه: «لا أعتقد انك تفهمين هارمونيكا الا اذا أدركت أن علينا اتباع عملية تدريجية لتحويل ماروشكا الى ما يريده ويحبه شقيقنا. لا تحولي بسرعة يمامتنا المسالمة الصغيرة الى عصفور من الجنة، دعيها تعتاد على الفكرة ودعي والدها يعتاد على ذلك بدوره، وستصبح بعدها أكثر ثقة. خذي الوقت الكافي يا صغيرتي».

الوقت كان الشيء الذي لا تملكه هي أصلاً فابتسمت وقالت: «قد - قد يكون عليّ ترك هذا الأمر لساريا لمتابعة التحويل ما دام هذا يحتاج للوقت. ستفعل ذلك أنا واثقة لو طلبت منها ذلك».

«من المحتمل» رد بشك: «شيء واحد أكيد

هارمونيكا سيتوقع انطوني هذه الصورة الجديدة التي ابتكرت بأن تصبح دائمة».

أصابعها كانت متشابكة بحضنها بقوة وقلبها كان ينتفض كالطائر الجريح داخل أضلاعها وهي تتقصد أن تتحاشى النظر اليه.

«ساريا ستساعد بذلك الى أن تتعلم ماروشكا فعل ذلك بنفسها. لا يوجد أي طريقة أخرى».

رفعت أصابعه ذقنها وحدقت العيون السوداء بها وتلاخقت أنفاسها بسرعة وللحظات غرقت بالغمام.

«ألا يوجد طريقة أخرى فعلاً هارمونيكا؟» لم تجيب وتابع: «فكري بذلك وأنت نائمة واطلعي على الرد غداً على الغداء في أثينا. تعالي مع ماروشكا وانطونيو».

رفعت نظرها اليه وفتحت شفاهها لتنفوه بشيء ما إلا انه أسكتها وتابع بهمس: «سأكون بانتظارك في المطار تصبحين على خير هارمونيكا».

سارت بخطوات حاملة خيالية نحو الباب ثم استدارت نحوه وهمست بصوت بدا بعيداً كل البعد عنها.

«تصبح على خير ماركو».

كان انطونيو وماروشكا بانتظارها على الفطور. وظل انطونيو يرمقها بنظراته الضاحكة ذات المعنى

الواضح نظراً لمعرفته أسفها بطريقها لتناول الغداء مع
ماركو.

«على فكرة لقد اتصل الفرنسي دانكن هذا الصباح
ليدعوك للغداء قبل سفره اليوم لكنني أخبرته أنك
موعودة بتناول الغداء مع ماركو» قال بعد استقلاله
للطائرة: «ولهذا فهو يهديك سلامه».

«آه، انطوني ولم لم تخبرني من قبل وإلا
لكنت...».

«لكنك ماذا؟» سألتها بتحدي العارف.

«كنت سأتصل به وأودعه فقط» قالت بمرح.

«آه اعتقدت شيئاً آخر» قال بخبث: «على كل حال
قلت له وبأدب أنك آسفة لعدم تمكنك من مشاركته
الغداء. فما رأيك؟».

«لا بأس بك كشقيق لائق؟ أم ما رأيك
ماروشكا؟».

ضحكت ماروشكا برقة وقالت: «أرى أنه زوج
لائق أيضاً».

ضحك انطوني وأمسك بيدها بحب قائلاً: «هذا
أروع كلام من أروع فتاتين بحياتي».

لكن جو السعادة هذا لم يستمر لفترة طويلة لأن
الكابتن قال شيئاً ما لأنطوني جعل الأخير يقطب فجأة
وهرب اللون من وجه ماروشكا التي أخذت تنظر من

النافذة بقلق.

«ماذا هناك انطوني؟».

«يبدو أن عاصفة «الميرانا» ستهاجمنا».

«الميرانا؟».

«إنها عاصفة هوجاء تهب فجأة فوق بحر أيجه
ودون سابق إنذار. سيحاول بوري الكابتن تحاشيها
لكن...».

لم يستطع انطوني متابعة جملته لأن صوت فرقة
هائلة صدر عن الطائرة وعاد الكابتن للتحدث مع
انطوني الذي أحاط بذراعيه الفتاتين وقال بهمس:

«احمنا يا رب. سيحاول بوري الهبوط بنا وإلا
فإننا سنتحطم بالجو صلوا معي».

كان هذا آخر ما سمعته هارمونيكا قبل أن تهبط
الطائرة على الأرض ويحدث التحطم الهائل.

مطار وأحلام وصراخ وصوتها وهو ينادي ماركو،
كل هذه كانت خيالات وصور كانت تمر بذهن
هارمونيكا وشعرت بيدين دافنتين تحملانها فشعرت
بالدموع تجري على وجهها كالأنهار وهتفت بالاسم
الوحيد الذي كان بداخلها.

«هارمونيكا - هارمونيكا...» أنه صوته أم أنه
خيالها: «انت بأمان الآن يا صغيرتي...».

«آه، ماركو» فتحت عيونها بجهد هائل ولاح لها

الوجه الحبيب: «آه، ماركو - أنا - أنا - أين انطوني -
وماروشكا - لقد تحطمت...».

«بسشش! لا تتكلمي الآن أكب مو، ليس الآن.
انطوني وماروشكا سيكونان بخير! انهما على ما يرام
كل ما يهم الآن انك بخير».

«ماركو...» توقفت محاولة تذكر معنى «أكب
مو». لقد قال لها انطوني انه يعني - يعني...».

تمسكت بيده بقوة وهمست: «ماركو...».
«لا تتكلمي الآن وإلا فسأتركك وأبتعد».

«كلا، كلا، ماركو، لا تفعل - لا تفعل...
أرجوك... أنا».

«أعرف، أعرف اصمتي الآن».
حين فتحت عيونها مجدداً وجدت نفسها في

المستشفى وشعرت بصداع هائل برأسها.
«ماركو - ماركو» هتفت فوراً بصوت ضعيف.

«أنا هنا... أكب مو، هيا استيقظي فقد قال
الأطباء انك بخير تماماً».

فتحت عيونها كلياً وأحست بكل حب العالم
الساكن داخلها لساكن أحلامها وكيانها حتى دون أن

تشعر بذلك.
«ماركو - كيف وجدتنا، كيف انطوني
وماروشكا؟».

«لقد اتصل الطيار فور نزولكم ولحسن الحظ ترك
الآلة مفتوحة فتمكننا من ترصد مكانكم وهرعنا على
الفور لانقاذكم! آه هارمونيكا كدت أن أصاب بالجنون
لدرجة لم أختبرها من قبل بحياتي كلها! وانطوني
وماروشكا وأنت يا حبي حين أفكر انني سأفقدك فإن
حياتي تصبح جحيماً».

جلست على السرير وأحاطت ذراعيه بها والحب
يشع من عيونه وهمس.

«سأذهب لرؤية انطوني وماروشكا الحمد لله انهما
على أحسن ما يرام الآن وبوري بدوره بخير، لولا
مهارته الفائقة الهبوط ل... آه هارمونيكا - أنا
أحبك».

كان اعترافه بسيطاً ومثيراً فشعرت باللون يندفع الى
وجنتيها وأشعت عيونها كالآليء ونظرت اليه وقلبها
داخل عيونها.
«ماركو».

لامست خده بلهفة فأمسك بيدها وطبع قبلة دافئة
داخل راحتها ورفعها الى خده مقبلاً رسغها ورفع
نظره اليها فجأة قائلاً بصوته الرائع:

«قلت انني سأبقيك بفكري في حال فكرت بالزواج
مجدداً أليس كذلك».

تذكرت شكوكها السابقة واعترفت: «أنا - أنا لم

أعتقد للحظة انك كنت تعني ذلك - اعتقدت - أقصد ان انطوني كان يملك كل تلك الأفكار...».

«اعتقدت انني سأرغب بالزواج بك لأن انطوني يريدني أن أفعل؟» أغاظها بحب: «آه كلا هارمونيكاً أكب مو، ليس علي أن أرضي أحداً الا نفسي - أنا أختار عروسي».

تذكرت زوجته الأولى ورفعت نظرها اليه بعيون متكبرة قائلة: «ماركو عن زوجتك ال...».

«كانت طفلة صغيرة ورقيقة يا حبي، وكنت أهتم لها لكن - ليس كاهتمامي وشعوري العميق نحوك! هل ستصدقيني وتتزوجين مني؟ اجعليني سعيداً هارموني حبيبتني كما لم أكن سعيداً من قبل أبداً بحياتي».

رفعت وجهها اليه وشفاهها ترتعش بحنان وحب عميق.

«أحبك، وسأكون سعيدة فقط اذا كنت كذلك».

قربها اليه مجدداً بعناق متملك وأدركت فجأة أن هذه اللحظة كانت مرسومة لها بقدرها منذ اللحظة الأولى التي وقع عليه نظرها على هذا اليوناني الساحر - وحده انطوني شقيقها التوأم هو الذي أدرك ذلك بسرعة وحداثة.